عشقٌ مختلفٌ جدًا

مواقف حياتية عاشتها الكاتبة

بقلم

مريم توفيق



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **عشق مختلف جداً**

المؤلف : أ. مريم توفيق

رقم الإيداع : ٢٠١٦ / ١٥٨٢٢

الترقيم الدولي: ٧-٢٢-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

الإهداء

إلى

القلوب العطشى للضحك وللفرح

العيون التى ترقص طربا وتهفو للقُبل

الزمان الذى يحتفظ بالقمر بدرًا

المكان الذى كان ولا يزال حيا منذ ألف وأربعمائة عام

مريم

هذا الكتاب

شاعر وأشعار

صور مصرية عربية قبطية أرثوذكسية

+ بيشوي

أسقف حلوان

والمعصرة

٢٠١٦/٦/١٢



مقدمة
بقلم الأستاذ الدكتور
منصور مندور

الحمد لله وكفى وسلام على أنبيائه الذين اصطفى ... وبعد ...

عندما تخرجُ الكلماتُ من القلبِ فإنّها تدخلُ القلب، وكلمات شاعرتنا (مريم توفيق) نابعةٌ من قلب صافٍ مفعم بالحبّ لوطنها وأبناء وطنها ودينها ، وآل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام.

إن القارئ ليحسّ لمساتِ الرحمةِ ودبيبها اللطيف فى الكلمات والعبارات والإشارات من خلال الإيقاع الموسيقى المعروف عن الأسلوب الأدبى للشاعرة (مريم توفيق) التى دائما ماتتحفنا بهمسات الحبّ والمودّة التى عرفناها فى إخواتنا أقباط مصر.

وهى بذلك تقدمُ نموذجاً للرقىّ والأدب فى الحوارِ والتعبير عن المشاعر الدّالة على صفاء القلوب ، ونقاء النّفوس لكل من حولها ..

إنّك – عزيزى القارئ – لتتأمّل كم الحبّ المتدفّق للسيدة مريم العذراء البتول (عليها السلام) والسيدة زينب سليلة بنى هاشم (رضى الله تبارك وتعالى عنها).

إنك لتتأمل كم الحب المتدفّق لرسل الإنسانية ، وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلّم.

إنك لتتأمل كم الحبّ المتدفّق للأزهر الشريف وشيوخه وعلمائه.

إنك لتتأمل ذكرياتها وهى تحكى عن أيام طفولتها وقبل دخولها المدرسة ، وقد بقيت هذه الذكرياتُ محفورةً فى خاطرها لم تفارقُها حتى اليوم .

إنك لتتأمل وهى تكتب عن أثرِ الكتب المقدّسة فى حياتنا ، حيث نور السماءِ يذهب بظلام الأرض ، ويبدد الخوفَ فى قلوب المؤمنين.

إنك لتتأمل وهى تكتبُ عن مصر الأم ، مصر الحب ، مصر العطاء ، مصر المأوى، وهى تستحق منا أن نقاوم الأمواج والصخر .

إنك لتتأمل كم الذكريات الجميلة التى تملأُ ذاكرتها حول نشأتها وعلاقتها بأهل المنصورة جميعا و(ميت غمر) خصوصا ، وماصاحب ذلك من مناسباتٍ دينية واجتماعية تجلّت فيها عظمةُ الحبّ والعطاء ، وتحقق فيها مقصدُ من مقاصد الأديان السماوية جميعا، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات].

نعم إنه مزيجٌ من الحبّ والعطف والحنان بين أبناء الوطن الواحد ، يتجلّى فى كتابات (مريم توفيق) الشاعرة والأديبة المبدعة بنت مصر .

دكتور

منصور مندور

كبير أئمة وزارة الأوقاف المصرية

تأملات

ذُبت بحرف كبّلني ، أوقدني ، جلجل فى كفّى ، أهداني وردا من شوك ، وجواد العتمة يخطو كنجم ، يتخبّط أفلاكا ، وحروف الصبح كما النيران ، أتألق فى حُزنى ، القلق فى عينى ، والقلب من الهدم يُعانى ، وينادى : ياوطنى ياساكن كل الأحياء ، هاأنذا بين جدارٍ وجدار، كحروفٍ جفّت ، تتساقط من حولى ، أنزلق الآن غريبا نحو القيعان

يارفيق الدرب ... ألم تكن معى فى الميدان نرتّل ونكبّر ؟ فرسمتك على الورق بقلب من ذهب ، ثم مات غُصن كان عطرا ، أشعلت عينى نيرانا ، ولم تحاول اختراق صمتى وسكونى ، لم تحاول تضميد جراحى وشجونى ، أصبحت الدّمع الذى يجرى



فوق مقلتى فيجذبه النزف ، أنت كالألم ، فكم من المرات تسبّبت فى ذلك الصدع ، تاهت أفراحى ، أبوابى مثقوبة ، دخان ، برق ورعد ، من أحرق كنائسى ؟

وهل كانت ستغضب كوكب الشرق لو أذيعتْ فى أعياد الميلاد والقيامة (ياليلة العيد أنستينا) ؟ ألا يكفى الصلاة تحت الحراسة ؟ لماذا أُحرمُ من صليب علّقته يد أمى وكان أول هدية بعد نجاحى فى الشهادة الإبتدائية ؟

لكنى مازلت أبتهج وألهو بالفانوس مع الحفيد ، يعرّج بى نحو الماضى الأجمل ، الطفولة بنقائها لماذا تلاشت فى الكبر ؟ لماذا استُبدلت بسنوات تمضى بين أتون التعب ؟ لكنى أحاول دائما أن أستعيد اللحظات الروحية الصافية ، حين تدق الأجراس ، ويعلو الأذان ، فأهتز شوقا ...... يارمضان.

فإلى بائعى الكلام الذين يقايضون ثم يخسرون ، ولا يملّون معزوفة النشاز العقيمة تحريم الإحتفال بأعياد أقباط مصر ، تحريم الفرح وبدء صفحة جديدة من التسامح والمودة ، ملعونٌ من حمل الزهور ، اللحن الشجى والقصيدة .

إنها قوافل الجهل تُخرس الوداد ، تُوصد فى القلوب كل باب يحلُم بنبتٍ ربّانى تعلوه مشاعل نور وبهجة ، فى ضباب الزيف

يتوارون ، لكنهم يدعوننا للتمدّد فى محراب الوحشة ، تلُفنا العزلة ، تسحقنا الأشجان ، أسرابُ الجراد تسعى لشق السفينة ، أقلامهم زورٌ وبُهتان ، باعوا حمام السلام ، أشباحٌ فى الظلام تتخبط ، جحافلُ الشر تدعونا للحزن ، لليأس ، للندم وجلد الذات ، للإحباط ، لبيع الصديق بالبخس ، إنها دعوة للكراهية ، للأسود والرماديّ الكئيب ، ثم أفتوا أن شجرة الميلاد بدعة ، إثمٌ لايغتفر ، يكفرُ كل من يحتفل برمز النّماء ، كل من يعانق الأغصان ليغفو على شذى الورد ، كل من يتوق للربيع وأنغام الكمان ، فماذا عن السلاح التى يمزّق الأبرياء ؟

ياعاشق الدماء ألا تستحى من الأفعى تشتهيها ؟ تجمع النار ثم تُسرع الخُطى نحو النوارس تُغلق عليها الدائرة ، تشرّع سيفك وعلى دفتر الموت تسجّل اسمها ، عاشقا لفجيعة الطيور تودّعُ صغارها ، لن تنال من مصرنا .

ستعود حتما للبحر أحلامه الغافية ، ستعود البلابلُ المسافرة تسبّح للنور .. للحبِ على أرض سيناء نام جناحٌ بدفء جناح ، فالأفراحُ آتية ، لن يضيق المكان بالجالسين مع القديسين والملائكة.

فالمصرى المحب للحياة ، الذى فُطر على الضحكة والنكتة سوف يُهدى الورد والألوان المصرى يعيش على حب الجار والأهل والأصحاب .

فى هذه المجموعة صفحةٌ جديدة من عمر هـذا الحـب ، نجـدّد فيها عشق السوسنة لنيل الوفاء ، لكـل الكـون ، بالحـب نحيـا عـلى أرض نمت على أرضها كل الـديانات فهنـا شـمس وظـلال ، لحـن وجمال ، ونداءات طيور وحبور ودلال ، هنا نحيـا بـأعراس الربيـع ، فخيوط النور تطفو فوق أحلام الصقيع ، وغـروب الشـمس يحكـى مطلع الشمس البديع ، نحيا بين أسراب حمام لايعرف الخـداع ، هنـا ابتسام ، حب ، وفاء وهنا روح السلام .

إلى أم النور

سيدتنا مريم العذراء (عليها السلام)

قرأتُ وجهَك فى رحيق الشمس بالحنان يُشرق، حاورتُ عينيك فوجدتنى أطفو على راحتيك سيلَ عطرٍ يامريمُ ، بك تسمو الأحلام فأرتدى الأبيض ، على الضفاف وبين النوارس أجلس ، فأخطُّ بالدماء أم النور « حبيبتى» أنت الظل ورطيب الغصن ، إسمٌ من حرير، فخرٌ وطيب ، ماء سحاب ، فى الفؤاد تسكنين ، بين أهدابك حبات لؤلؤية ، حين تتهادى أناملك ، يضيئ كل الكون ، وتلك أنشودة ربيعية لمن جُلّت عن الوصف ، وردةٌ أنت فى مبسمك يتودد الشوق ، جميلةٌ أنت ومن بقلبى تفرّدت ، وهبت الحسن والطهر فابتهج الزرع والطير ، ويالروعة الفجر الوليد مع ترانيم الحب ، فلنضحك للأمانى



ووجه القمر ، لباقات الزهر ونسمات السحر ، ياكنز السماء ، منك الفرح ، يابتول .. نُحبك بكل اللغات ، نزهو بقربك ونعلن إليك الولاء فأنت الرجاء فلنمرّر أناملنا على نقش اسمك لنرتوى من شذى الحروف يابسمة الأزهار.. بك نطوى مواجعنا إن حاصرتنا الذكريات وعاندتنا الليالى ، إن عانقتنا الأحزان وارتدَّ بين الضلوع النحيب ، إن جثمت على صدورنا الأشباح تستبيح الورد والفلّ ، إن أخذتنا الدنيا بعيدا عن الله .. نذوبُ بين خريف وهجير، وعيون القرش تبحث عنّا وتموج ، فلا العصافير تطير ولا الفصول تعود ، كل شىء كألواح الجليد ، لا دفء ، لا نسمة صباح تُهدينا الغد يا مريم ، ويالغربة المكان المبهم وأنا فى دارى بين الأهل والجيران كالعشب الظامئ يحن الى قطرة من حب صاف ، البرد يلتهم ظلّى ، وليلى قارس الأنواء ، غابت رنّة الكروان فأصرخُ .. يانجمة الصبح .. كيف أواصل الدرب ؟ والله كم غضّ عنّى الطرف ، فماذا فعلت يأمى ؟ لاشئ ..لاشئ ، نأيت عن النور القدسىّ وهرعت للبعيد لاصلاة ولاصوم ، ولا تأمل فى يوم الحساب ، أوفى النذر فقط بالشمع ، فباتت لى الحياة منفى .. كهفٌ وبرقٌ وطيرٌ يئنّ ، ياسيدة الطهر .. فى صومك المقدس ... إليك أمد اليد ، فأنا أهيم بلا سنا من ضياء ؟ أبغى الاحتواء ، أعود اليك لأروى فى نوّاك العذاب ، وكيف لقيت منه ذئابا، أجوبُ الكون خلف سراب يُساقينى الهوى

الكذاب ، ثم أحنّ إليك فأغزلُ من عبق الزهر حروفا وطيوفا ، وبين مدّ وجزر ، تشتعل بداخلى قناديل الشعر والنثر

فأقول : يابحرا من شعر صاف يتدفق عبر شراييني ، يُشرق كشموس فى روحى ويد تمتد لتحمينى ، ياصوتا يملأ أنحائى ، يملأ إحساسي ويقينى ، أجدّد العهد ألا أغيب عن درب رب المجد سيدةُ الطُّهر ... تحت ظلال وعودك جئت ، أنتظر الحلم الآتى أترجّى الليل بأن يرحل ، أتسابقُ واللحظة كى أبدأ معك العمر القادم وأبدا لن نفترق ، ياأم الكل ... ليس لى أحد سواك يفتح لى القلب .. رجاء محبة .. فلتُصلحي ماأفسده عدو الخير لتعود الروح إلى الجسد .. فيسامحنى الرب ياقديسة ... يانبع إشراق ونور .. صلّى من أجل مصر يارائعة الوصف ليحفظ الله شعب هذه الأرض يابسمة الأزهار ... نحو أيقونة الطهر والجمال أرنو ، على الضفاف تهرع الطيور فى انتشاء، أسراب الحمام تمتد فى سماء بلادى ، يامصر .. نقشنا اسمك قبسا من نور ، حين سَارتْ على أرضكِ العذراء

إليك الورد يامريم .. إليك عذب النشيد ياكنز الحياة ، مباركة أنت فى النساء .

السيدة زينب (رضوان الله عليها)
وروحانيات متجدّدة ..

سنظل نحلمُ باخضرار المروج فى معيّة ربيبةِ الفضل ، مليكةِ الدنيا وسليلة الزهراء ، نغفو على ذراعيها بشوق وهُيام وفرح ، سنظل نحلم بشموع ونور ياغاية القلب ، هنا مقام الهاشمية «زينب بنت علىّ» ، هنا يسرى الشّذى فى الفؤاد يحمينا من عصف الزمان نركض نحوها إذا الشراع تمرّد ، إذا ارتدّت فى ظُلمة الأقدار الصّرخات بلا صدى ، إذا أحاطنا اليأس من هول الإعصار فى عرض اليم ، وبات الموج فى كرّ وفرّ ، أو كبّلتنا أقبية الثلج ، إذا بات النجم مُسهّدا ، نحلم بجنةٍ فيها النخيل والشجر والماء شلّالات تنحدر ، بصحبتك يازينب نتذوق الشهد وعذب الكلم، حُلو الرحيق يارفاقى مع شمس



الوجود وقُرّة عين المرتضى ، فلتحتوينا يانجمة السماء ومحبوبة المصطفى ، سنظل نحلم بالجلوس إلى شقيقة الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنةِ هى الحُسن والجمال هى الكريمة كجدّها ﷺ.

نرنو اليك ياأم العواجز بحب لاتطويه الحُجب ، معك يُشرق الحب فينا كلما وطأت أقدامنا دارَك ، المدَدُ منك ونفحة العطر ، منك النور وجميل الزهر ، أنت الظل والدفء فى ليل الجدب ، فالخصب أنت ، وأنت الآمرة بالمعروف ، فما السر ؟ ذلك سر للإله بك يانهر الحياة ، يامن تنامين بالأحداق فموئلك بين العين والهدب، تتجوّلين بالقلب ، إنى أراك والعذراء تشيّدان ممالكا من النور والحب ، تزرعان فى ربيع أيامنا الورد ، تردّدان أنشودة اللقاء ، بالإيمان .. بالسلام .. لن تضار أبدا «درة الشرق» .

فلنجدد العهد يامريم .. يازينب ، سوف نعيد مذاق الألوان ، وصورة لاحدود لها من الخيال، هنا إنجيل هنا قرآن ، يبدّدان الخوف ، لحنا أنقى وأطهر ، منكما الشّيم والقيم والفخر ، قليل من الخبز يكفينا ، قطرة من المطر ترويننا ، ياالله .. فلتنبت لنا سنابل الرحمة ، بالحق نقتسمها ، بالحب نُطعم صغارنا، فى مواسم البهجة تعود الطيور لأعشاشها ، فتهرب عناكبُ الريبة ، نُسقط القلاع ، نداعبُ النور والفراشات ، نصلّى صلاةً تهدم مدن الخرافة ، نمحو طُقوس العرّافة ، هى مصرنا يرفرف القلب بحبها ... فلنقاوم من أجلها الموج والصخر ، فالشمس لن تكفّ عن بناء النهار .

إلى العالم الجليل

صاحب المقام الرفيع.. إلى الطيب الإنسان ..

نسمةُ ربيع ، ماء سلسبيل ، يتدفّق بـردا وسـلاما ، شجرة دفء، رسول مودّة ، رونق البهاء ، تراتيل ناى، ماء وليل ، وكون يغنـى ، نجمـةٌ سـحريةٌ الأضـواء ، ينطق بالحق فى زمن مرّ ، نبعٌ من كفّ الرحمة الإلهية ، محبته حقيقية لا يشوبها أى رياء، وحـين يجـفُ نبـع الاحتـواء وتنحـرف السـفينة عـن المسـار فتصـيب الشركاء نجده بالبصر والبصيرة يلطّف الأجواء .

فيقـول فضـيلته (إن حكمـة المـولى عـزّ وجـلّ اقتضـت أن يُخلـق النـاس مختلفـين فى الشـكل ، فى الدين ، فى اللغة ، للاختلاف رونق وجمال ، لامانع من الحوار من أجل خير الإنسـانية جمعـاء) فهـو منفـتح على العالم بما يتفق مـع الـروح العربيـة والإسـلامية ،

وهى روح ترفض الجمود والانغلاق ، فاجتمعنا أقباطا ومسلمين على محبته ، يُبهج القلوب العطشى للفرح ، يخترق الحواجز ويغوص فى الأعماق مستندا الى قوة الروح ، والفطرة التى حباها الله لبعض الناس ، فهناك من يمتلكون العلم ، لكنهم لايملكون تلك القوّة الفطرية والروحية التى تجتذب العقول والأفئدة ، أدبه الجم وحصافته لهما مفعول السحر فى مد جسور الود ، ففضيلته رمز العطاء والوفاء ، ولا نستطيع أن نعدّد مآثره ، فبساطته التى تميزه إن دلّت على شئ فإنما تدل على نقاوة وطهارة هذا القلب، فهو منارة لكل من يعرفه ، يؤمن بضرورة نشر السلام والتعاون الحقيقى بين الأديان ، يؤكد أن مصر المذكورة فى القرآن والإنجيل محفوظة بإذن الله .

فيا ثمرة أينعت فى الكرمة عناقيد ، نضع اسمك عنوانا للعمر الجميل والليل والوطن ، فبأى الصفات نختار ؟ وأنت بدوائر الأحداق الجواهر واللآلئ ، الطيب الاستثنائى ، فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الدكتور « أحمد الطيب » .

الحمصية وطعم الأيام اللذيذة

مازلت لا أعرف سر الفرحة التى تسرى بأوردتى كلما وقعت عينى على (عروسة المولد) بلونها الوردى ، وحلوى الحمصية والسمسمية اللذيذة ، كنت أشعر بيده وقد امتدت بالغطاء الذى سقط بعضه عن جسدى النحيل ليعيده من جديد ، فالجو يزداد برودةً مع ساعات الصباح الأولى ، أما فى النهار وتحديدا يوم الجمعة كنت أُصّر على النزول معه كى أتوقف عند عم «عطية» البقال لشراء التوفى واللبان والنعناع ، تعلّقت به ربما أكثر من أمى التى لم تكن تتقبّل منى أى خطأ ولو صغير ، تقوّمنى ليل نهار ، نصائح بعدد الساعات ، وياويلى إن خاصمتنى ، فقد وقعت فى بئر عميقة فقد أضطر لبذل جهد غير عادى



كى تصالحنى ، وسرعان ماتخاصمنى من جديد وكثيرا ماكنت أفشل فى معرفة سر الخصام ، حيث كنت لم ألتحق بالمدرسة بعد .

أما لعبتى المفضلة فكانت طفلا صغيرا يَعمـدُ والـدى أن يكـون مفاجأة ، حين يضعه إلى جـوار سـريري حتـى إذا مافتحـت عينـى فى الصباح أُخبئه من إخوتى ، كانت فرحتى وضحكتى وأنا أضمُ لُعبتـى إلى صدرى وكان ذلك مما يسعد والدى كثيرا ، ولم أكـن أفهـم السـر لماذا يأخذنى معه دون إخوتى وقد ارتديت الفستان الجديـد لنـزور عمى « حسان» بمدينة ميت غمر ؟ والذى ما إن يرانـى حتـى يـدسّ قرشا بيدى ثم يميل هامسا : (روحى اشترى حمصية من عنـد عمـك عبد العظيم) وأيام أخرى كان يضع بضـعة قـروش بكـيس النقـود ، ليهمس مُجددا (هذا مضيوعك) كم كانت السـعادة تغمرنـى كلمـا تشابكت أصابعى بأصابع أبى التى لا زال ملمسها يعانقُ قلبـى ، كنـا نقضى اليـوم فى بيـت عمـى وعنـد الغـروب أعـود محملـة بـالفطير الساخن الذى نلتف حوله بصحنيّ عسل أسود وجبن قديم أما أجمـل الأيام فكانت فرحتها حين تقع عينى فى الصباح الباكر عـلى (القفّـة) الملونة والمصنوعة من خوص النخيل ، أفتحهـا فيتـدفّق الحمّـص على طاولة الطعام ، بينما قطع الحـلاوة بلونهـا العـاجى ترقـد عـلى سطحها ، كنا نتعجّل أمى لتكسّر بعضها ، فيسـهل علينـا أكلهـا ، أمـا السلّات الصغيرة جدا فكانت سـببا لمعرفـة (حـبّ العزيـز) الـذى

أحببناه بشدة فنعبُّ منه ونضعه فى جيوبنا ، أما (الدُوم) فقد أعـاد إلى ذهنى (الدُوم) الذى كنا نتسابق على شرائه مع أصـابع العسـلية مـن (أم عبـده) أثنـاء الفسـحة بمدرسـة الرشـاد الإبتدائيـة نظيـر خمسـة مليمات أو عشرة على الأكثر ، ولا أنسى الحلاوة الشعر التى تـذوب بمجرد أن تلامس شفاهنا وكان لها نصيبٌ أيضا على سفرتنا ، والتـى لم تخل يوما من أكياس الفول السودانى الذى يـتم تحميصـه فى فـرن البيت ، وكم تردّدت على مسامعى كلمة المولد وحلاوة المولد .

أعشق عروسة المولد .. والتى كنت أبكى إذا سـقطت منـى دون قصدٍ فتناثرت قطعا صغيرة على الأرض ، فكان حضن أبى يهدئ من روعى حين يقول : لا عليك ياحبيبتى فلتأكليها كلّها ، إنها سكر ، ولا يمرّ المساء دون أن يبتاع لى والـدى الحبيـب عروسـة جديـدة ، أمـا أجزاء العروسة فمصيرها مهلبية حمراء وقد وضعت بصحون صغيرة يزيّنها جوز الهند المبشور ، كبرتُ قليلا وفهمت أن عروسة المولـد لا توجد إلا فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، وصارتْ ترتـدى فساتين من ورق الكوريشة بألوانه الجذابة التى تخطـف قلـوب مـن هنّ فى مثل سنّى ، أما سلّات الحمص فكانـت لا تنقطـع عـلى مـدار العام ومنها على سبيل المثال :

(مولـد «السـيد البـدوى» بطنطـا ، مولـد القـديس الشـهيد «مـارجرجس الرومـانى » بميـت دمسـيس، والشـهيدة القديسـة

«الست جميانة » بمدينة بلقاس دقهلية ، والقديس «أبانوب» بنبروه) .

أما الحلاوة الشعر فكانت من مولد سيدى « إبراهيم الدسوقى » بمدينة دسوق بكفر الشيخ ، لم أسأل يوما عن الموالد لمن وأين ومتى ولماذا وكيف ؟

جلّ مايهمنى أن تظل طاولة طعامنا عامرة بكل شئ مُحبّب إلى نفسى ، وأن يمد الله فى عمر عمّى «حسّان » الذى لم يقطع عادته حتى زمن كتابة هذه السطور ، مازلت أسمع صوته الواهن حين يقول (الموسم جاهز) أرسله غدا يابنتى ، وأظل بانتظار الموسم وقد إمتلأت العُلب عن آخرها بكل ماهو جديد فإلى جوار الحمصية والسمسمية هناك الفولية والجوزية والملبن المحشو بكل أنواع المكسرات ، مع لفّات الفطير المشلتت ، ولا أستطيع أن أصف السعادة التى تغمرنى عندما أقوم بتقسيم الموسم إلى ثلاثة أقسام .

وهاهى « مريم » حفيدتى تضع كفّها الصغير بين يدىّ ، وقد ورثت عنى عشق الحمصية والسمسمية وكلما هاتفتها يأتينى صوتها .. (ياتيته عايزه عروسة بمبى) .

دعوة للحب والإيمان فى حلوان ..

كالنهر يسقى الحنايا عطفا ومودة ، وجهُ ملاكٍ يفرد جناحيه على شعب «حلوان» دون تفريق ، كأنسام الصبح يجمع هديل الحروف عشقا للوطن ، فإن غمر الأرض شقاء يخفف عن التعساء ، يرى العطاء سر الحب ، وسر الحب من الإله ، إنه الحبر الجليل الأنبا «بيسنتى» أسقف حلوان والمعصرة الذى يترك بابه مشرعا للكل ، يمد حبال التواصل لخدمة الجميع على السواء على مدار العام ، يُؤمن أن المحبة كالشجر الأصيل كلما ارتوت من النبع العذب تطرح ثمارا شهية ، تورق الأغصان فنستظل بها فى الهجير .





هذا التواصل لم يكن قاصرا على الأعياد من الطرفين ، بل يرى نيافته أن كل يوم يمر بسلام وأمان على البلاد هو أيضا عيد ، والأمر سهل كما يقول السيد المسيح (له المجد) لتلاميذه : « أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم » ومع كل زيارة لدير القديس الأنبا (برسوم العريان) أطالع مكتب الأنبا بيسنتى عضو المجمع المقدس يعجّ عن آخره بالعشرات من إخوتنا المسلمين الذين يُقابَلون بترحاب ومودة شديدين ، يطلبون إما تدخّله الشخصى لحل بعض الأزمات لما يتمتع به من مكانة مقدّرة (فحكمتة وبلاغته تُؤهله للتصدى لأعتى المشكلات) ، أو يوجهون له الدعوة للمشاركة فيما يعود بالخير على شعب حلوان ، أو لتجاذب أطراف الحوار فى أجواء يسودها الألفة والتراحم .

وتغمرنى الفرحة اليوم لأننى فى « الدير» العزيز على قلبى أرنو إليه كلما اشتقت أن أكون فى حضرة النور والحب والقديسين ، فيا أنبا بيسنتى .. يا من أيقظت فينا الحنين لتراب هذه الأرض ، للنيل العظيم ، للنوارس ، حين تختال فوق صدر الماء حتى مطلع الشمس البديع ، نستعيد معك حلو الذكريات كى ننفض عن العيون غبار العتمة فيلتئم بك جرح السنين.

الحبر الجليل .. نراك فى وادى النخيل والفضاء الرحيب ، فى رقّة

السماء ، طلّة الشمس وسحر الغروب ، فى المروج الخضر ننهل مـن عذب كلمات من سكن الوجود من فـم الـذهب نسـتلهم الإبـداع ، نُعانق الألوان ، لنرسم للفراشات ظلّا فتبتهج عصافير الدروب بـك يعود للشجر الرّونق ، نُسقط الحصـون إن جـارت علينـا الأفـاعى ، وكبّلتنا الوحوش ، تاجٌ على الجبين ، بالقلـب محفـور، بحـب نـادر الوجود نصدُّ أعتى البراكين، فتصاب الحيتان بمـسٍ مـن الجنـون ، نناديك يامن تنام بالأحداق وتسرى بالعروق .. إليك قـلادة الزهـور قصيدة ولهانة النشيد ، ستظل فينا الحب الأسطورى ، الإسم الجهير للوطن الخالـد ، نـدعو الله أن تبقـى بيننـا الآف الأعـوام وعشـرات القرون ، فكلمة السر .. حبيب كل الجموع .

لقاء طيب جداً جداً ....

حين ضجّ التحريرُ بالثوار صارخين « ارحل » كان الأقباط فى أوائل الصفوف محطّمين خوف السنين ، مطالبين بالحرية والعدل ينادون (كفانا حرمانا وإذلالا)، لعقود طويلة كانت الشكوى من القهر والاضطهاد ، لم يكن أمامهم إلا خياران لاثالث لهما ، الاحتماء بأسوار الكاتدرائية رافعين اللافتات متحدثين أمام القنوات الفضائية المسيحية رافعين المظالم لقداسة البابا شنودة ، أو البكاء المرّ أمام أيقونات السيد المسيح والعذراء .

ثمانية عشر يوما قُطعت فيها الاتصالات ، وأنا وحدى أتابع من شرفتى تدفّق كل الجموع ، لا أنكر أن الخوف كان رفيقى الدائم ، فلم يعد هناك شرطيّ

أحتمى به ، والحارس جمع أسرته وترك العقار، الجيران منعزلين ، عكس جيرانى فى مسقط رأسى « المنصورة » فبيننا جميعا مودة واحتواء ، لكننى وجدت ضالتى فى (الثورة والزمن المسروق) نصوصا احتوت صرختى ، فأنا لا أدرى ماتخبئه لنا الأيام خاصة بعدما اشتعلت النيران فى جميع مقرّات الحزب الوطنى فى آن واحد ، لكن يقينى أن المرفأ الآمن دائما هو الحكماء ، أُفضى للكتاب بأحزانى على ما آلت إليه أحوال الشباب الذين باتوا طعاما للحيتان ، وآخرين يعيشون تحت رحمة الكفيل فى دول الخليج ، أين الضمير والضمير من الدين ؟

ليطل الأزهر بإمامه الأكبر الدكتور « الطيب » الذى جذبنى بحوارات تليفزيونية تفيض بالحكمة والعلم الغزير ، أهديت فضيلته نسخة من الكتاب الجديد ، بين طيّاته أرفقت سطورا قلت فيها : (ياصاحب المقام الرفيع) أنت لاتعرفنى ، لكنى أراك رسول مودّة ، تُبهج القلوب العطشى للفرح ، يامن تنطق بالحق فصرت واحة تزهو فيطيب لنا الرجاء ، وسطّرت الإهداء بصدق الكلمات . على الغلاف عنوانى .. شاعرة من مصر ، من بيت أحبّ كل الناس ، وكل عابر سبيل لم أسأله يوما بأى دين تدين إذا مدّ الكفّ بالسؤال ؟ كنت أعلم أن الكتاب مآله أى رفٍ فى الأرشيف ، والشيخ الجليل لن يعرف بأمر ماطرحت من أفكار، ربما لضيق الوقت ، ربما هناك ماهو الأهم ،

لكننى لم أفقد الأمل أبدا فى الجـواب ، كنّـا فى شـهر الصـوم ولكلينـا رمضان والعذراء .

ودق الجرس ......

هاتف أعاد للأنجم الحبلى حُلو الأمـانى ، زرع الآفـاق بـالنغم ، واستجاب الله للدعاء.

- قال : أحيّيك على الإبداع ، سيصلك الشكر على العنوان .

فبحت بما أكّن له نيابـة عـن كـلّ الجمـوع ، الحـبّ والتقـدير ، وأبديت خـوفى مـن دنيـا بـلا سـياج ، فمـن يـدركنا قبـل أن يهـيض الجناح ؟

- قـال : لاداعـى للخـوف ، مقدّسـاتكم نحميهـا ونحمـيكم ، لاتخافى من ألف تنّين ، الله خير الحافظين

- قلت : الآن طاب الجرح واندمل ، أمنيةٌ عزّ مطلبها يامولانـا ، أطمع فى لقاء

- قال : أرحّب

كنت أعلم أن الأحداث كلها ، سوف تمنعنى مـن صـياغة بعـض الأبيات عرفانا لهذا العالم الجليـل لكـن الكتـاب المقـدس يقـول : (كل مايُعمل يُعمل للخير)

فسطّرت :

تحيـة الحـب والتقـدير أكتبهـا — من روضة الشعر أهديها إلى العلـم
شيخنا الفذّ قد ضاء الزمـان بـه — أنـار بـالعلم آفاقـا مـن الظّلـم
أنـت الطّيـب والتـاريخ يعرفـه — وروعة الفكر فوق الشّعر والكلم
تظل تعطى عطاء النهر فى كـرم — حتى سموت سمو الطّود فى القمم
تحيـا بجهـدك أجيـال تعلمهـا — يبقى عطاؤك نور الناس والأمـم
ألبسـت تاريخنـا حلـلا ملونـة — وروعة تنتشى مـن شـيق الـنغم
إنـى أتيتـك بالأفكـار أرسـمها — شعرا من القلب يعلى شامخ الهمم
أهـديك ياسـيدى مـن نـبض — وأنت بحر الوفا والحب والكرم

فى الموعد المأمول أسـرعت الخُطـى ، بعـض الفـرح تسـلّل الى روحى ، يربت على كتفـى يعزّينـى عـن أى وجـع أو حـزن مـرّ عـلى خاطرى من قبل ، طرقت الباب ، مددت الكفّ صافحته ، عملاقٌ فى ربوة مقمرة ، فجر شاع فى الأفق ، عذب آسر للقلب ، كلماته ميـزان شعرىّ ، بحرٌ لم يكتب على وزنه سـوى التواضـع بـاب لكـل جمـال ، فيرتدّ على محيّاه الهلال .

قرأ القصيدة بصوتٍ عال ، شاركنى الأوجاع فقد واكبـت هـذه الأيام أربعين شهداء حادث كنيسة القديسـين بالأسـكندرية ، الـذين

قُتلوا بحادث تفجير ليلة عيد الميلاد المجيد دون ذنب ، وتمنّى فضيلته أن يعمّ الوئام والسلام كل ربوع مصر .

قال : لننس الدمع وأشواك الأذى ، هذه الأرض لن تفرّق بين الضّحايا ، محمد ومينا ، تلك سحابة كئيبة ، الأشباحُ ترتعُ فى كل شبر، لكن الصّبح آت بطوق نجاة ، عشنا على الحب ، أوصانا بكم خيرا الرسول الكريم ، وعيسى عليه السلام بالمحبة فى الإنجيل .

قلت : بك تطمئن القلوب ياشيخنا الجليل ، الطيّب والأزهر أنت والمعتدلين .

أتأذن بصورة يامولانا ؟

ابتسم ملوّحا ببارقة المنى ، الى جواره ترتفع الهامة فتسرى الفرحة بالقلوب.

وظللت أترقب فرصة جديدة للقاء طيب ، ومع كل لقاء يكون العيد ، لتقع عينى على خبر نشر فى إحدى الصحف القومية ، القلب الحنون يمر بوعكة صحية ويرقد بإحدى المستشفيات ، ودون تفكير هاتفت السكرتير وقلت : من فضلك زوّدنى بالضوء الأخضر ، فأهديه قلب مريم ، سلمت ياشيخنا الجليل ياقلب الذهب ، سلمت من كل شر .

وبعد عام ونصف العام عاودت المشيخة ، هذا المكان الذى بات لى مصدر سعادة ، كل لحظة أقضيها بين الردهات الممتدة ، هى عمر جديد ، هنا الحب دون رياء ، هنا تواضع الأنبياء ، أهديت فضيلة الإمام الأكبر قصيدةً جديدةً عنوانها (سوسنة الوادى) وقصصتُ عليه كيف دعيت للمشاركة فى أمسية شعرية فى حب سيد الأنام (عليه الصلاة والسلام) دون أن يعلم القائمون عليها أننى من أقباط مصر ، ليرد بابتسام :

كان يحبكم ﷺ وتزوج منكم « ماريا » التى أنجبت له إبراهيم.

قلت : أستاذن فضيلتك سوف أجمع كل القصص منذ الطفولة حتى أترك لأحفادى إرثا من الحب فيطمئنوا أن القادم كله خير ، وأن الإنجيل والقرآن من عند الله ، مسلم مسيحى أبدا لن نفترق.

فقال فضيلة : فلتبدئى من الآن .

البابا المعظم الأنبا تواضروس الثانى
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

حين تخطُّ يمينى الحرف ، يقفز الى الذّهن البِرُّ والنُسك الجميل ، نتوق لحكمته تداوى فينا الانكسار بعد الحريق ، بعد ثورة الثلاثين من يونيو التى خرج فيها جُل الأقباط صارخين : (مصر للجميع) ، و(مسلم مسيحى يد واحدة) ، تساءلنا لماذا تبدّلت القلوب بين عشية وضحاها ؟

سيدنا الحبيب .. نعانق فيك جمال السماء بحب فاض عن حنايا الصدور ، ستظل فينا خلاصة جهدك نتعلم منك كيف يكون العطاء ، لانسلك الرمال فتنفرط حبات العقد ، فى الليالى المعتمة حتما سيضاء النور ، فيطرح الشعاع حنانا قزحى القطرات كم حميتنا من عصف الليالى حين اشتعلت النيران فى



الكنائس والأديرة الأثرية ، فصار الحب دخانا تـذروه الـريح فى كـل واد ، قلت ياسيدنا الحبيب أن :

(وطن بلا كنائس أفضل من كنائس بـلا وطـن) مـن أجـل هـذا ستظل فينـا نبراسـا يقينـا الهجيـر ، لنبقـى رسـمك فى الأحـداق وفى القلوب ، على كل جدار هـلال وصـليب ، البابـا تواضـروس الثـانى وضعت مصر فوق الجميع بالحكمة والرؤية الثاقبة وإليك القصيدة :

إختيار السماء

هـــذا اختيـــار باركتـــه ســـماء   نور المسيح عليـه والأضـواء

يـــارأس ملّتنـــا وراعـــى شـــعبنا   طُوبى لشعب أنت فيـه ضـياء

قد بُورك الكرسى يوم جلوسـكم   وتهلّلــت لقــدومك العــذراء

يحنو عليك الـرب مـن ملكوتـه   يرعى خطاك نعيمـه المعطـاء

وتحققــت بــك كــل أمنيــة لنــا   إذ بشّــرتنا بـــالمنى الأنبـــاء

فلقد رأينا فيك مـن زمـن مضـى   كل التّقـى والحكمـة الغـرّاء

هذا التواضع من سمات الرسـل   لا يــدنو لــه ذلّ ولا إغضـــاء

تسرى محبة مصر فيـك وشـعبها ولمصر فى كـل القلـوب ولاء

وتصـون للقـدس المبـارك حقّـه فى الأسـر لاحـجّ ولا إسـراء

بك أيّد الـرب العروبـة وانتشـى بحديثك الفضـلاء والعلمـاء

يــاخير راع للكنيســة إننــا شعب تمنّى واستجيب دعـاء

مصر التى عشـت الحيـاة بظلهـا وتعيش فيك تحوطها الأنـواء

فادفع بحكمتك العواصف والأذى فيك الرجاء ومنك يشفى الدّاء

وارفـع لـواء توحّـد تزهـو بـه أرض الكنانة حين عـزّ عطـاء

أخلاقـك السـمحاء سـيفٌ بـاترٌ تُمحى ببـارق حـدّه الظلمـاء

وعميـق حبـك للـبلاد تبنـى لنـا أمــلا وإنّــا للــبلاد فــداء

فاغرس بأعماق القلوب تسامحا إن الحيــاة توحــدٌ وإخــاء

ماكانــت الأديــانُ غيــر محبــة فيهــا لكـل العــالمين شـفاء

جلسة إنسانية جمعتنا فى حب الرسول

وجلست بين الجموع التى كثيرا ماتتنقل بين شاشات الفضائيات ، أعداد غفيرة من المصورين ، والقنوات تتسابق لتجرى الحوارات مع المسئولين ، أما سيل الدموع التى فشل أبناء الراحل الكبير فى أخفائها ، كانت أول مالفت إنتباهى فى حفل التأبين وهرعت إلى القصيدة التى سطّرتها ، أُعيد قراءتها قبل أن ألقيها ، أسترجعُ لحظة فقدان والدى الحبيب حينما كنت أعمل بإحدى دول الخليج ، وعندما اتخذت قرار السفر على وجه السرعه لمرضه المفاجئ ، لم أتمكن من توديعه بعدما استرد الله وديعته ، وأنا بالطائرة معلقة بين السماء والأرض ، وظلت غصّة بقلبى وجرحا غائرا حتى الآن لم يندمل ، يتجدد كلما عشت اللحظات



الأليمة لآخرين فقدوا الأب والصديق خاصة من ترك لأبنائه إرثا من العلم ينتفعون به ، سيرة عطرة تمتد للأحفاد جيلا بعد جيل.

وبدأت المراسم بآيات من الذكر الحكيم ، ثم كلمات أصدقائه وتلاميذه يتلون فيها مآثر رئيس وزراء مصر السابق والذى اجتمعت على محبته كل القلوب ، « عبد العزيز حجازى » الاسم الجهير فى عالم الاقتصاد الذى حذّر من التزايد المستمر للعشوائيات وتغوّل المعاناة والفقر ، وطالب برسم السياسات لإيقاف الفساد واهدار المال العام ، كلمات مؤثرة من محبيه ، ثم أبنائه الذين استقوا من معينه كل شئ طيب ونبيل ، وألقيت قصيدتى فنالت استحسانا من الحضور وما إن عدت إلى طاولتى حتى فاجأنى أحد الحضور قائلا : (أستاذة مريم أعجبنى شعرك وأدعوك للمشاركة معنا بأمسية الغد وأنا من سيدير اللقاء) ووجدتنى أعلن موافقتى دون أن أعرف المكان والزمان ثم أردف : العنوان مكتبة الخليفة العامة بالمقطم ، وسكت عن أى حوار.

-لو تأذن يشرفنى أن أعرف موعد الأمسية.

-فى الواحدة ظهرا.

-مبكرا جدا أمسية فى الواحدة ؟

-يوم فى حب رسول الله.

-عليه الصلاة والسلام.

-كيف أتواصل معك حضرتك ربما أتوه عن العنوان ؟

وعلى عجل امتدت يداه ببطاقة تعريف بشخصه الكريم ، أزالت حيرتى أمام كلماته المقتضبة ، وبت ليلتى أفكر ماذا عساى أن أقول؟

كان فرحا مصحوبا بالخوف ، سطرت كثيرا مما يحمل فى طياته وحدتنا الوطنية الراسخة عبر القرون ، أما أمسية الغد فهذا هو الجديد والرائع أيضا ، ليتراءى لعينى شريط الطفولة الذى حُفر بالأعماق حب المسلمين حبا ليس فيه زيف ، آيات بينات وصوت أذان ، ونصوص نفهمها ونردّدها ونستدعى مايقابلها فى الإنجيل.

وسطرت ماجادت به قريحتى ولم أكن أدرى أننى فتحت مغاليق من الدرر.

أحتضن الأمس والغد ، حب كل الكون .

عند الثانية عشرة ظهرا كانت خطاى تسابق الساعة ، عنفوان المشاعر يهز فؤادى الذى اشتد خفقانه ، مازال الوقت مبكرا وتوقفت أمام مسجد السيدة زينب (رضوان الله عليها) وللمرة الأولى قررت أن يكون اليوم من أوله فى رحاب أولياء الله الصالحين ، قطعت الطريق لأبتاع غطاء رأس جديد ، واخترت مايناسب بدلتى

وكانت بلون السماء وترجّلت نحو الباب والقلب تتسارع دقاته ورعشة بأطرافى الباردة ، أما الجالس أمام الباب فكان بسيطا ودودا بشوشا ، وبصوت خفيض دار حوارنا.

سألته أيمكننى الدخول ؟ بينما أنحنى لأنزع نعلىّ لتطل من مآقيه حيرة عندما لم ينطق ببنت شفة .

قلت أنا من أقباط مصر .

وجاء رده .. نأتى بالغذاء ؟ حاجه ساقعة ؟ شاى ؟

وأمام كل هذا الحب تسمّرت قدماى ، وبخطوات بطيئة دلفت إلى المسجد وجلست أرضا وكأنى أرمى الأثقال عن كاهلى ، ياالله وأنت موجود فى كل مكان أدعوك أن تخفف عنى ماأصاب قلبى من فرح وترقب ، فالأصعب لم يأت بعد .

حينما ألقى على مسامع الحضور ماأتوا من أجله ، ياالله ماذا تخبئ لى اليوم ؟ أعلم أنه الخير كل الخير

قرأت الفاتحة (يا أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأتى ملكوتك لتكن مشيئتك ، كما فى السماء ، كذلك على الأرض ، أعطنا خبزنا كفاف يومنا ، ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير .. آمين) .

وسرعان ماحكى حارس المسجد للمريدين الذين التفوا حولى

لالتقاط الصور التذكارية التى مازلت أطالعها كلما اشتاقت نفسى للحظة دافئة لم تكن بالحسبان ، الحب فيها كامن بدواخلنا لن تُفتته أى ريح .

فتحت هاتفى المغلق لأتواصل مع أستاذ الشريعة أوجهه بأننى على باب المسجد ، فقال : عشر دقائق فقط مرت كالثوانى بين الأحبّة من المحجبات والمنقبات ، نضحك ونلتقط التذكار على أمل بلقاء جديد ، ولم يقطع الحوار بينى وبينهن والذى أزال الكثير من عبء اللحظة إلا اتصال الدكتور « أحمد عبد الرحمن » الذى ميّزت قدومه من بعيد لحيته البيضاء ، أما عيناه فلم أرها قط ، ألقى السلام وجلست بالمقعد الخلفى ، وصلنا مكتبة «الخليفة العامة» حيث هذا اليوم العظيم ليصعد الدكتور«أحمد » الدرج ليكون من أوائل الحضور ، جمع غفير ، أمهات يحملن الرضع والصغار ، رجال دين، منشدون ، شباب ينظم الحفل للحضور الكريم ، ومنصة زُينت بالورود ، الكل مبتهج كليلة العيد .

إذن آن الأوان لأقول الخبر اليقين ، دُرت بعينى أبحث عمّن يدير اللقاء قليل الكلام الذى دعانى .. ياإلهى ماأسعدنى اليوم ، هذا هو بين الشباب يعطى تعليماته ، إذن اللحظة مناسبة ربما قدمنى ولايعرف منى غير إسمى ، والمريمتان واحد والتوفيق للجميع.

ناديت .. من فضلك كلمة واحدة قبل البدء ومازالت عيناه فى

الأفق البعيد .

قلت : أنا مصرية مسيحية ، لتعلو بسمة ملء الكون هذا الوجه الصبوح ، زادت من ثقتى بأن القادم كله أحلى ، وخير البدء كانت آيات من الذكر الحكيم ، أعقبها أروع تقديم لقامة سامقة ، كلماته كالدر النفيس تخللها تصفيق وهتاف (مسلم مسيحى يد واحدة) ، فطار قلبى مع الكروان يغّرد للنسيم .

قلت : أحببت فيكم كل الجمال والبهاء ، عشقت فيكم الفرح العذب ، لحظة صدق أتت دون ترتيب ، أحببت فيكم ، فاتن وابراهيم ، فارس وأميرة ، أحببت فيكم محمد وزينب ومؤمن والشيخ الطيب وإليكم كلمتى ...

قالوا : عن سيد الخلق قولى الشعر .

قلت لهم : الرسول الكريم فوق بديع الشعر والكلم.

قالوا : فهلا قلت عن مكانته وكيف يسمو بالأرواح إلى القمم ؟

قلت : ذلك سر للإله به قد خصه الله بالسامى من القيم ، من بحبه ينجينا من الظلم ويغرس الحب فياضا ويزرع فى قلوبنا النوروالإيمان ، فيحميها من السقم ، لولاه مااهتزت جوانحنا بنشوة العشق للأخلاق والشيم ، لولا رضا الإله لما جاد لنا بأحمد ، بالعطر

نفيض على كل الكون ، فى انتظار لجنة الخلد والرضوان والنعم .

وحين يعلو الأنين من شر ومن صخب وأمام سيول الألم ، نناديك فنذوب هياما بقربك ، ننشد الشعر ياطه فنرتوى من ظمأ ، دفء حديثك فرح ، زهر ندى وشمس تضىء الدرب ، تدعونا للفجر العذب ، للحكمة حين تحارب عاطفة فيذوب نقش الحب .

يانبع عطاء وحنان ياشاهدا ورحيقا وضياء ، لك القنديل والقربان ، التواشيح والتراتيل فيحيط بنا الزهو ، عشق المصطفى لحن وشدو ليس فيه زيف ، حلم سرى فى الحنايا وطهر وبدر، فلاحاجة لسهم وجرح نهيم بمحمود فلا نبالى بالألم ، وما أجمل مايأتى به القدر ، هو الإشراق والخصب ليشفع فينا من مرض ومن خطر ، فتتجلى بشائره ويطيب لنا السمر ، نناجيك ياحبيب أن تدعو من أجل مصر ، فلا فرقة بين قبطى ومسلم فنعيش بعذاب أوضجر .

القدس فى لهفة لكلينا يدا بيد ، يامن بكفيه الجواهر والدرر ، حلو اللسان كنغمات الوتر ، نزل الوحى ، طلع البدر ، عشت فينا مروج الروض ، والسر فرات سلسبيل ونور على الجبين ، يبعث من حب سيد الأنام ، من جاء ليتمم مكارم الأخلاق فننعم ، تاج القلوب ... حلو الرواء إبريق من زمزم.

كان رد فعل الحضور هو ماألهب حماسى فخرجت الكلمات من

عمق فؤادى وكلى مطمئن أن المحبة العظيمة التى فطرنا الله عليها ستظل فى الأرواح راسخة حتى المنتهى ،أما الفرحة العارمة التى ارتسمت على محيّا الدكتور « أحمد » فقد أظهرت طيب معدنه وسمو روحه ، ولا أعتقد أن فرحته هذه كانت بسبب أننى لم أخذله ، كنت أتابع الفقرات التى امتدت حتى السادسة ، ياالله .. كيف مر الوقت رقراقا كأن أنهار الدنيا تجرى سيل حب وامتنان بين الجميع ، فازداد تعلقى بالمكان والناس الطيبين ، انتهت الأمسية وقد حصدت الفرح غير منقوص .

تبادلت مع السيدات والفتيات أرقام هواتفنا فهذا اليوم لن يُمحى من الذاكرة ماحييت ، دفء المشاعر وفيض الأحاسيس باتا أكبر من كل القواميس ، اقتربت من الدكتور.

« أحمد» أشكره على حسن صنيعه فقد أهدانى كنزا فى الأرض والسماء ، ومددت كفّى بالسلام وسلاما يابلادى ، لكننى فوجئت بإصرار عجيب من ناحيته على توديعى والاطمئنان علىّ ، فأسرع بتقديم أجرة السيارة التى أقلتنى بكرم كبير فانتابنى خجل شديد ، لم يسمعنى وأنا أقدم الشكر الجزيل ، ويكفينى أننى كنت فى معيته اليوم، لكنه لم يلق بالا لكلامى ، وراح يوصى السائق بالسير على مهل ، وأن ينتبه على الأمانة فى الطريق .

عندما بكى (البحر الأحمر) ..

خمسة وأربعون يوماً لا أدرى عنك ياحبيبى ، الثوانى تمرُّ على القلب كأنها دهر تطاول ليله ، أسأل عنك مطر الليالى ، الفجر وشمس الأصيل ، أسأل عنك كل ركن مررت فيه ، كل صديق ، كل جار ، أكلم الأشجار وأحجار الطريق فتهرب عينى إلى السماء .

أصرخ ياإله الكون ولدى غاب عن روحى ، والقلب جمرٌ واللهيب أحرق خدى والوسادة ، أين الولد وكل ولد تاه عن درب الأحبّة فى بلاد تَغصُّ بالشر والحقد اللعين ؟ من عندك الرحمة يارب ، فلتنظر بعين الرأفة للمساكين ، إبعث مايهدئ روع القلوب ، نتابع الأخبار لحظة بلحظة ، ربما اليوم



بعد غد ، ربما الآن ، أو بعد ساعة يأتينا مايُطمئننا فنعـود للحيـاة مـن جديد .

كان الخامس عشر من فبراير ٢٠١٥ يوما أبت الشمس أن تمنحنا فيه بعض الدفء ، وبات الصقيع يلفُّ المصريين ، ليلـة ارتعـد فيهـا كل ضمير صرخنا ليسوا مسـلمين ، المـأجورون يفعلـون المزيـد ، واقشعرت الأبدان وارتعدت فرائص الجميـع بـلا اسـتثناء ، طـابور الواحد وعشرين مصريا شهد العالم كيف سـاقوهم للـذبح فى مدينـة «سرت» بليبيا ، عجز البحر عن العويل، والماءالمصبوغ يـئن مـن وحوش سنّوا النصال من الطرفين ، طفت الرؤوس على صفحة وجه الماء .

والعالم بين مُصدق ومُكذب فلم يـدر بخلـد أعتـى الشـياطين أن يقف خلف الكاميرا مصورون وضعوا فى اعتبارهم أن يخرج المشهد بجودة عالية دون أن يرفَّ لأى منهم جفن ، وبما أن أمر الله قد صـار فما علىّ إلا شد الرحال إلى الأمهات بالصعيد ، حيـث يشـعرن أنهـن لسن وحيدات وأن قلوبنا معهن ، ولم يُخفـف بعـض الألم إلا مافعلـه رئيسنا الإنسـان المشـهود لـه بالوطنيـة فقـد ارتـأى « السيسـى » أن واجـب العـزاء لـرأس الكنيسـة لـن يكتمـل إلا بالقصـاص مـن المجرمين، فدكّ حصونهم فى الفجر .

أو كانت أقسى رحلة أقوم بها بمفردى ، وماإن وطئت أقدامى مدينة «سمالوط مركز «المنيا» حتى ارتعدت فرائصى فأنا أمٌّ وجدة ، فقد أصبحت على مقربة من لحظة اللقاء العصيبة ، أشرت إلى التاكسى كى يدلف بى الى قرى الشهداء ، « أبو أحمد » رجل خمسينى بدا على ملامحه شظف العيش كحال قرى الصعيد جميعها ، سألته عن أجرة هذا اليوم لأطمئنه أننى لن أقصّر معه ، الشهداء كثر ولايليق أن نختار البعض دون الآخر ، خاصة أنهم فى السكن متجاورون فلم يجبنى واعتقدت أنه لم يسمعنى بعدما فقدت السيطرة على دموعى وأحزانى، كان يطالعنى فى المرآة كثيرا ليتوقف فجأة أمام بقالة كان الخبز فيها متناثرا على أقفاص الجريد وبعض أكياس البطاطا ، وقليل من العصير الرخيص ، ليعود السائق وقد ابتاع كيسا من المناديل الورقية، وعلبة من هذا العصير قدمهما إلىّ دون كلمة واحدة .

صحيح أن « أبو أحمد » لايجيد الكلام ، لكن نقاء سريرته أبلغ من أى حوار ، وكانت الأبواب جميعها مشرّعة ، الحِداد فى كل البيوت ، مشاعر مالها من وصف ، الكل مكلوم طالعت الوجوه فلم أفرق بين أم الشهيد القبطية وجارتها المسلمة ، ذات الدماء وذات الرداء ، مررت على الجميع ، أحاول جاهدة أن أشاركهن جراحا لن تمحوها السنون .

وأبو أحمد في كل دار يجلس مع الرجال يتقبل واجب العزاء ، لنعود سويا لألحق بالقطار ، قدّمت له مايستحق فجاء الرفض نهائيا قال : ولا مليم ، (الشهداء حبايبى أولادى) ولم يزد عن ذلك ، لأنهمر فى بكاء مرّ من فرط هذا الحنان الذى أضعف أمامه دائما ، فتغمرنى الدموع ، وقبل أن يطلق القطار صفّارته تركت بجيبه مبلغا من المال ، فى رحلة العودة شعرت بأن صدرى يبدأ يتخذ طريقه للهدوء والسكينة ، أرى فى المساحات الخضراء أفئدة مازلت أعيش بها ولها ومن أجلها أكتب هذا الكتاب ، فى صباح اليوم التالى دق جرس الهاتف (حمدا لله على السلامة) وجاء صوت « أبو أحمد » حمدا لله على السلامة ياأبلة.

أما (طريق السماء) الذى وضعت بين دفّتيه مشاعر كل الشرفاء الوطنيين فقد ضمّنته قصتى مع « أبو أحمد » الذى فُطر على حب الآخر دون تمييز ، وأقمت ندوة لمناقشة هذا العمل الذى وجد استحسانا وقبولا من النقاد ، لأفاجأ بأن الدكتور « أحمد عبد الرحمن » أستاذ الشريعة أول الحضور وقد اصطحب ابنه البكر وبين يديه باقة ورود بيضاء (الدكتور أحمد الذى دعانى لأمسية فى حب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، دون أن يدرى أننى من أقباط مصر) .

قلت للشهيد :

ياحبيبى ...لاتكتئب ، لاتنفعل ، وغُض الطرف عن طابور كان على مرمى البصر.

لاتخف من جحافل اليأس تُشعل الكون ، فتصرخ النوارس بأنات مُغترب ، لاتنزعج من وجوه طغت بالقهر والكذب ، الجبان من تخفى ليمزق الطير على أفنان الشجر.

من حرق السنابل وكرمة العنب ، نحو الصلاة انطلق ، نحو السحاب نحو الشهب.

ولّى الألم وانفلات الجرح صوب المطر ، من أجل السماء احتمل، واظفر بالفردوس فى زمان القهر واللهيب المستعر .

من الدم المُراق يولد الألق ، لن تساوم فى المنافى ، لن تهادن يابطل ، من البحور والقوافى سطر أروع الشعر ، أبياتا من فضة وأخرى من ذهب ، لن تجف المحبرة ، لن يغفو الورق ، قبل أن يكتب فى الحنايا :

(هاهنا يرقد بسلام أطيب الثمر) ، والأنامل تهرع نحو أيقونة الجمال والحب ، الشموع فى ابتهاج والقناديل للشهيد بالطهر تحتفل، فلتدق النواقيس إيذانا بترديد المديح العذب .

من ظن أن وميض النصل إن شقّ العُنق ويتهاوى الجسد ،

سيُرهب الأبطال فهو سادرٌ فى الوهم ، غاية المنى واحد وعشرون إكليل ، تُطوّق كل الجباه عند الشفق ، وعلى صفحة ماء البحر المخّضب بالدم ، كم تراءت لهم وجوه الملائكة.

ياأمى ... افرحى ، كفكفى الدمع الهطول واسعدى ، ياأمى ... لاتحزنى قولى لهم : ولدى للوطن مجد وفخر ، ولدى ..... رمز الفداء للأزل .

مصر ... الآن حان اللقاء للذّود عنها من كل طامع يقود المواكب الحمراء ، من دم الشهيد يعبّ الكأس فرحا وانتشاء ، يامصر أنت فى الخاطر كرامة وإباء .

قنديلٌ يشع سلاما

بكلماته المُشعة تهفو الأفئدة اليه ، تلقّى دعوة السماء فتقبلها طائعا ، وصار الحَبر المبارك خطوة .. بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ، صرح القداسة «البابا شنودة الثالث »، البشاشة والحنوّ الشفيف كزهر الربيع ، بالحب يمد اليد ، إن صمت فحديث الصمت آية ، وإذا تكلم تُورق الأشجار .

أتى من فم الوجود ، القُرب منه يصب الشوق فى القلب ، ويغزل طوقا من الفرح ، أنشده قصيدة رائعة الرنين ، فعشت حُلما لايفارقنى ، وصبّ فى مسمعى لحنا من السعادة أعذب ، قلت ياسيدى : بك نعلو فوق الأحزان ، نرسم الفجر لتبدد ظلام مدينتنا ، تُداوى كلماتك جروحنا ، تفرد شراعنا بوجهك كى



نبحر الى المرفأ الآمن ونرسو ، علمتنا كيف نُعطر بروحك القصائد .

يازهرة الوادى ... يجذبنا إليك حوارك المطرز بأصداف اللؤلؤ، قلبك أبيض رقراق ، يعطّر الأجواء ، بالدفء السّخى يذيب الجليد ، تضئ غياهب الأغوار .

قلت : (مصر وطن يعيش فينا وليست وطنا نعيش فيه) فهكذا يكون النداء ، تنطق بالحق فى زمن مُر ، أنت نبع من كف الرحمة الإلهية ، حين تنحرف السفينة عن المسار فتصيب الشركاء ، لحصافتك وسمو روحك مفعول السحر فى نبذ العنف ومد جسور الود ، علمتنا أن التسامح منهج ، طوبى لمن شملتهم النعماء ، علمتنا كيف نرقى بوجداننا ، كيف نسعى إلى مستقبل أكثر عدلا ، فإذا خطبت فحانيا ، وإذا وعظت يشع منك الصفاء ، تحمى الحقيقة لايعتريك الخوف والإعياء ، علمتنا كيف نتحمل كل ضيق بالمحبة .

تؤكد أن الوحدة الوطنية مناعة ضد من يتربّص بالوطن ، تنبت زهرا نرويه بالحب سويا ، وحين يسقط الدمع على وجنتيك تبتسم ، فتزيل ركام الخوف ، كم وهبت إخلاصا لمصر وبركة ، وسرى بوعظك فى العقول صفاء ، حصن الأمان للأرض العظيمة ، ومن أجل المسيئين اليك ترفع الصلوات ، تبتسم رغم الجراح الغائرة ، وحين تنسل الخفافيش لترسم مرايا الألم فى زمن الوحشة ، تُنقّب عن

أكاذيب تصدقها ، ورغباتها الدفينة تشتعل لحرق الوطن ، وحين تولد أفكار عاجزة مشوّشة ، وحين يعلو الصراخ فى زمن الفهلوة ، ونحن سجناء التخلف والحماقة ، وطن أنهكه الزحام فتاهت معالمه ، تُمزقه فلول نظام عهد بائد ، يُدبر لشق الصفوف فى ضراوة، زرع حقولا من الحقد والخوف ، يُوهم الجموع بالمحبة الزائفة ، بقوافل الكلام والخطب ، أضاع الأخوة خلف الطيش والبطش ، نظام وأد أربعة عشر قرنا من المحبة ، فاستعذب الفتن، والشعب لايملك إلا الحديث عن الكفاح القديم يستلهم العبر ، يُردد فى كل مجلس أن لكل منا شريكا فى الأرض ، والهرم ، كعك العيد ، النهر وزميل المدرسة ، لكن الانكسار فى القصيدة .

نقول : دم أحمد ومرقص ، ودم عرفات وبطرس فى سيناء كان العنوان ، وطوبى للإنسان الباحث عن النسيان ، والجمرة تحت الرماد ، والزورق مكسور الشراع ، هذا قدرنا ننتظر ونرقب الشمس، علّها تشرق فى المغيب ، تمحو الضباب ، هاهو درب الثورة يعانق النهار ، ولم نعد نشكو الجراح.

وأنت يا منبع الضياء و كوكب المساء ، بالحكمة تُلطف الأجواء، فتجلو الأعماق ، تضئ خيوط الظلام حين تتعثر الخطوات تروى ظمأ الروح ، فكلام الله قيم سمحاء ، الصوم زورق يحمينا من

مخالب الإعصار فاستجاب الله للدعاء ورسمنا فوق الجدران ، علما بدم الشهداء أحمد ومينا ، جميانة وجيهان ، دم سطّر الكرامة ، سطّر الخلود للأوطان ،الحبرُ الجليل ياعيون النهار ، نرسمك وطنا ياوردة البلاد ، ياطلعة الفجر الندى وحبنا الأبدى ، سوف تبقى قنديل سلام وقربانا ، كم نقشنا بك ولك أجمل عبارات الحب ، ياموطن الخير والطهر .

كم كنت معطاء غزير العلم ، تنشر شعرك العذب الخصيب ، أعدت الينا الزمان الولود ، حين تناغى بفكرك وجدان طفل وحكمة شيخ ، وحلم بحجم الوجود ، فتحت لنا فى رحاب الحياة معابر نور، وأنسام عشق ، وأنهار خصب ، وشمسا وزهرا وذاب الجليد ، واليوم عدت إلى الذى وهب الجمال ، لقديس ملك القلوب فإليك القصيد :

ياأيها الحبر الجليل هكذا وقت الرحيل

مصر التى أحببتها ومنحتها الفكر الجميل

وغرست فى أرجائها زهر التسامح والقبول

أهديتها الطهر المقدس والتراتيل البتول

فهى المبارك شعبها والخير فيها لايزول

كانت تؤمـل أن تظـل لشـعبها الظـل الظليـل

لتبــارك التغييــر والثــوار والمجــد الأثيــل

فلقد أضأت ربوعها فى ظلمـة الليـل الطويـل

وأبيت أن ينساق شعبك خلف دعوات جهول

تدعو إلى التمزيق للأوطان والرعـب المهـول

كانت عظاتك بلسما يشفى النفوس مع العقول

كنت السماحة والتسامح خلق مصـرى أصـيل

الله ياقـــديس مصـــر وفخرهـــا حقــا تقـــول

ياطاهر الغدوات تبكيـك المـدائن والحقـول

سافرت للملكوت تحمل حب مصر فلا يحول

يبكى الفـراق شـعب مصـر بالـدمع الهطـول

يدعون رب الكون أن يجزيك عن مصر الجزيل

سـتظل فينـا ومضـة الإيمـان والخلـق النبيـل

الأبلة أسماء

صوتها الرخيم وهى تتحدث الفصحى مازال فى سمعى صداه .. فى أوقات الجدّ أرتعد منه ، دافىء فى لحظات العطف والود ، صورتها لم تفارقنى أبدا ، قوامها الممشوق ، غطاء رأسها الحريرى بلونه الرمادى الذى يميل إلى الفضى ، فمازلت أعيش على ذكريات مضى عليها أكثر من أربعين عاما ، ولم لا وهى أول من علمتنا الانضباط بداية من .. قيام .. جلوس ، حفظ الفاتحة والآيات والأناشيد ، ثم القراءة والتعبير .

الحاجة « أسماء عبد الفتاح » أو أبلة أسماء ، قُوة شخصيتها جعلت كلمتها مسموعة أكثر من الناظرة ذاتها ، وياويل من يرتكب الخطأ ، على الفور يتم



استدعاء وليّ الأمر الذى يهرع إلى المدرسة وقد ترك للحاجة «أسماء» اتخاذ ماتراه مناسبا دونما تدخل منه ، بما فى ذلك التوبيخ أمام الفصل ، أو الحرمان من الدراسة لبضعة أيام ، لكنها لم تستخدم أسلوب العقاب البدنى ، فلم أذكر أنها ضربت أيّا منّا على الإطلاق ، كانت النظرة من عينيها كفيلة بعودتنا إلى جادة الصواب ، الأبلة «أسماء» كانت تدرك أننا نحبها ونخشاها فى آن واحد ، ولذلك لم تترك الأمر على ماهو عليه بل تدعو المُذنب إلى غرفتها ، وغالبا مايكون ذلك وقت (الفسحة) تقبّله وتطمئنه أنها سامحته شريطة أن يعدها بأن ما فعله يكون أول وآخر مرة ولن يتكرر ، ثم تربت على كتفه كأم حنون ، فيعتذر : آسف ياأبلة .

أحببناها وكم كنا نُفضى إليها بآلامنا وأحلامنا ومخاوفنا ، وكل مانخجل من أن نقوله لأمهاتنا ، صبورة تستمع لكل منا باهتمام غير عادى ، ثم تقدم النصائح وتتابع النتائج ، لدرجة أن العديد من التلاميذ بنات وبنين كانوا يلجأون إليها للشكوى من الخلافات الأسرية والتى تُعيق تحصيلهم الدراسى ، ست سنوات لم نفارقها ، رغم وجود مدرسين للرياضيات والعلوم والاجتماعيات والموسيقى ، إلا أننى لا أتذكر إلا تلك السيدة العظيمة التى مازلت أكن لها حبا لايضاهيه حب إلا حب أمى .

مدرسة « الرشاد » بالمنصورة التى مازلت أعرّج عليها كلما وطئت أقدامى مسقط رأسى، بالرغم أنه لم يتبق منها إلا سور متهالك، الفصول التى تقشّر طلاؤها ، الردهات الممتدة ، والأسقف المرتفعة بلونها الرمادى ، صدى صيحاتنا وضحكاتنا يضئ الحياة التى بدت أكثر عنفا ، النشيد فى الوجدان مازلت أردّده، بعض اللوحات الإرشادية الى جوار مجلات الحائط ، تحمل بصمات أصابعنا البريئة ، أرى التاريخ شجرة ، أهراما ونيلا ، مسجدا وكنيسة ، كلّ الأشياء كما هى ، وكأن نداء سينطلق بأوامر الناظرة (صفا – انتباه) ، تحية العلم .

أعود بالذاكرة عشرات السنين .. أتساءل لماذا أشعر بتلك القشعريرة الغامضة كلما مررت أمام الفناء ؟ لكن الأيام الماطرة التى تتجمع فيها المياه بركا صغيرة ، تكوّن أقواسا حين يعبث الهواء بسطحها ، كانت فرصتى الذهبية لأصنع مراكب من ورق ، لم أكن أدرى ماسرّ سعادتى عند غياب بعض المدرسين ، فالكشف عن كراسة الواجب ، مصدر خوف وعذاب ، الآن بمقدورى أن ألعب ، أبدّل مكانى ، أحكى القصص، مخزن الكتب بنافذته ذات القضبان الحديدية فكان يشبه غرف التعذيب ، فكلما طالعت مئات الكتب ، تتسارع دقات القلب ، وركبتى تتخاذلان من الخوف ، هل بإمكانى أن أحفظ كل هذا ؟ لكن بين دفتىّ كتب الدراسة ، ظللت لسنوات

أخفى كتابا أصغر حجما .. ديوان شعر ، مقالات جذابة ، تجعلنى أحاور نفسى ، أسألها لماذا يبدو العالم غامضا ؟ حب وكره ، حياة وموت ، ظلم وعدالة.

فى طريقى إلى مدرسة الرشاد ، كان لزاما علىّ التوقف أمام مطعم فلافل (توتو) ومكتبة « حسب النبى» ، فما زالا موجودين ، رائحة الفلافل فى الصباح الباكر ماأروعها ، وأما المكتبة فلا يكاد يمر يوم دون شراء قلم رصاص أو أستيكة طالما أضيعهما باستمرار ، وفى نهاية هذا الشارع مازال بيت الأبلة « أسماء» فى الطابق الأرضى موجودا ، بيتها الذى عاشت فيه مع محمد ، ومحمد هو ابن « سيدة » الفراشة التى توفيت بعد ولادته بأسبوع واحد وقد تركه أبوه ليتزوج بأخرى ، فكرّست أبلة « أسماء »حياتها لنا ولمحمد الذى تبنّته ولم تتزوج من أجله .

عشقت مَدرستى ومُدرّستى لدرجة أننى كنت أفتقدها بشدة يوم الجمعة ، وفى جميع الأجازات حتى المرضية منها ، فقد كنت دائما مصابة باللوزتين وأتغيب كثيرا ، وما إن ترتفع حرارتى حتى تقرّر الحكيمة العودة بالحنطور مع الفرّاشة إلى البيت .

أما عيد الميلاد المجيد وعيد الغطاس ، أحد الشعانين وعيد القيامة المجيد ، كانت أمى تؤكد لى دائما أنها أجازات رسمية وليس

مناسبا أن أترك مقعدى بين أفـراد عـائلتى فى هـذه الأيـام المفترجـة حينما نجتمع عـلى الغـذاء بعـد صـوم لـيس بالقصـير لقضـاء العيـد بالمدرسة .

أما فستانى الجديد الذى كانت تُخصص له فتـرة الليـل لتحيكـه بدقّة حتى ترانى فى أبهى صورة فأنا كبـرى بناتهـا ، كنـت أضـعه عـلى مقربة من سريرى مع شرائط ضفائرى ، وعنـد الصبـاح أرتديـه عـلى عجل لألحق بطابور الصباح.

فتصيح أمى .. سوف يتغيب كـل زملائـك الأقبـاط ، سـتكونين الوحيدة التى تفعل هذا ، هل ستتركين إخوتـك الصـغار وحيـدين ؟ وأقاربنا والجيران عندما يسألون عنك ؟

وأمام بكائى الشديد كان والدى يقنعها قـائلا : (أتركيهـا تقضـى اليوم بالمدرسة ليست هناك مشكلة) فتقوم أمى بتجيهز صحن كبير بعض الشيء تملؤه بالكعـك والبسـكويت والبمبـون أقدمـه للأبلـة أسماء ، وتلتف البنات حولى وقـد وضـعت بـين كراريسـى (البمـب والحبش والصواريخ) لنلهو بهـا فى الفسـحة ، وعنـد بدايـة الحصـة الأولى تنادينى أبلة أسماء : يامريم تعالى على السبورة.

يابنـات .. كلنـا بصـوت واحـد : كـل سـنة وانـت طيبـة يـامريم عيد سعيد .

ثم تدعوهم للتصفيق ، وتذوق البسكويت ، وقبل أن أعود مجددا للجلوس فى مقعدى ، كانت تُمرر أناملها على شرائط شعرى ، ثم تُبدى إعجابها بالفستان الجديد الذى بهرها أنه من صُنع أمى ، ولم أنس كلماتها الشجية:

(الله الله .. فستانك جميل جدا ، ليس به أى عيب يامريم)

لحظة فرح صادقة أستدعيها كلما اشتاقت لصوتها نفسى ، وصرت لا أغيب أبدا إلا مضطرة فى عيدى الفطر والأضحى ، ألعب مع بنات الجيران ، فى حين تتزاور الأمهات وهن محمّلات بصحون الكعك والحلوى .

أنهيت المرحلة الإبتدائية لكنى لم أُنهى علاقتى بالأبله أسماء وظللت أحرص على زيارتها حتى تزوجت وأنجبت إبنتى البكر ، فكانت تنتظر زيارتى لتضم (رانيا) إلى صدرها قائلة :

اللهم صل على النبى ، ماشاء الله (تعالى عند تيتة ياحبيبتى) انحنى ظهرها وفقدت الكثير من بصرها ، لكن نبرتها وإن خفتت مازالت قادرة على التأثير فى الوجدان ، تُهدهد طفلتى قائلة (حج حجيجة بيت الله والكعبة ورسول الله) .

ثم تحاول أن تخبرنى عن بعض صديقاتى اللاتى لم ينقطعن عنها

أيضا ، ولم تأخذهن مشاغل الحياة عن أعز إنسانة فى الوجود على قلوبنا جميعا ، أنجبت ابنتى الثانية وقررت أن أزورها كى أُسعد قلبها بحفيدة جديدة ، وما إن وصلنا إلى بيتها حتى علمت أن اليوم هو أربعين الحاجة أسماء ، وكأن نصلا غُرس بروحى ، وبات الجرح غائرا حتى الآن كلما عدت بالذاكرة للردهات الممتدة فى المدرسة وصوت الأبلة مازال صداه (يابنات .. كل واحد على فصله) .

أبى توفيق (ما أروعك)

ما أروع تلك الساعات التى حفرت بقلبى سعادة لم أعرفها الآن إلا مزيفة ، صوت أبلة « فضيلة » والحدوتة التى تعيش معى حتى صباح اليوم التالى ، ربّات البيوت وعائلة مرزوق أفندى ، طريق السلامة، الأغانى الصباحية بصوت ليلى مراد وشادية ومحمد فوزى ، كارم محمود ونجاة الصغيرة والعندليب.

أما صلاة الجمعة فكنت ألاحظ أن الرجل الطيب يرفع صوت الراديو أكثر من اللازم ، فلما سألته لماذا يامن علمتنا التحدث بصوت خفيض؟ كان يجيبنى لنسمع الخطبة ، فيها مواعظ حلوة ، فصارت طقسا أحببناه ، داومنا عليه سنوات وسنوات ، وكثيرا ماكان الرجل الطيب يحضر صلاة الجمعة بالمسجد



للمشاركة فى صلاة الجنازة على روح صديق عزيز أو قريب لأحد معارفه الكثر .

وأول من أدخل الهاتف الأرضى والذى ارتأى أن من حق الجميع استخدامه ، لم يكن يتوقف هاتفنا عن الرنين بعدما صار الرقم بين يدى الكل، وما علينا إلا دق باب عم أحمد وعم عبده والأستاذ خليل والأستاذ إيميل ، أم سيد والست بشرى والذين يسكنون معنا فى نفس البناية ، أما الحاج بهجت والحاج عبد العليم والتلبانى ونيروز ، فاطمة وأم علّية فكانوا جيراننا الأبعد قليلا ، كنت وإخوتى الصغار نطير الى كل هؤلاء ، نُبلغهم أن بانتظارهم مكالمات هاتفية ، وبات باب شقتنا مشرّعا على مدار الساعة فى الليل قبل النهار.

سوق «ميت حدر » من الأسواق القديمة بعروس الدلتا وكان الأقرب إلى بيتنا بعدما نقطع كوبرى السكة الحديد القديم ، كم كان يقفز قلبى فرحا ويد الرجل الطيب بيدى .

وصوت الفلاحات تنادين على الجبن القريش والبيض والزبد ، الليمون والفواكه والخضروات ، كان يهرع لكل من جلست دون أن تنادى على بضاعتها ، أستفسر لماذا ؟ فيأتينى الرد : هذه فقيرة ومسنّة لن تجد من يشترى منها ، فلننفّعها نحن .

ويهلّ الشهر الفضيل فلا تنقطع الكنافة والقطايف المحبّبة عن سفرتنا ، وما إن يضرب مدفع الإفطار حتى ألمح الرجل الطيب وقد حمل صينية بها نفس طعام الغذاء ليقدمه لحسين ، وحسين كم كان عزيز النفس لايمكنه أن يطلب لنفسه شيئا إلا مايجود به الجيران الذين أولوه الثقة فبات أهلا لها ، نسافر ونعود وكلنا اطمئنان طالما حسين موجود ، وصرنا نتسابق من منّا سيقدم الصينية اليوم ؟

وكانت أسعد لحظة تلك اللحظة التى كان يكيل فيها الدعاء لله أن يحفظ للرجل الطيب أولاده ، وأن يبارك فى صحته بحق الأيام المبروكة كما كان يحب أن يقول .

وقبل أن يودّعنا الشهر الكريم ، نكون على موعد مع مشهد رائع مازال محفورا بالفؤاد مشهد الصاجات فوق رؤوس الكبار والصغار، وقد ازدانت بالكعك والبسكويت والغُريّبة فى طريقها إلى الفُرن المجاور ، يصاحبها كلام التهنئة من الشبابيك والبلكونات بالعيد ، وتطلب أمى من الرجل الطيب أن يأتى بالدقيق ولوازم الكعك حتى لا يطل الصغار على صاجات الجيران ، وتأتينا الصحون فى صباح العيد من الأحباء ، تلك الصحون التى عوّدتنا أمى ألا نُعيدها إليهم فارغة ، كان كعك أمى مع حبات البمبون والتوفى والملبّس بألوانه الرائعة أهم مايميز طبق « أم مجدى » .

كم كان لشدة تعلقى بالرجل الطيب مايميزنى عن إخوتى الأصغر سنا .

أولها أنه سيصطحبنى معه إلى قرية « دماص » التابعة لمركز «ميت غمر» لقضاء اليوم عند عمى «حسان» ألعب مع بناته ، ننط الحبل ، وبالطباشير نرسم على الأرض مربعات لعبة (الأولى) ثم نشعل البمب والصواريخ ، نختبئ خلف الصفصافة والتوتة ، ثم يعرُج على بيت عمى « رشدى » والذى كان يجلس فى الفصل إلى جوار عمى حسان والرجل الطيب ، أما أروع اللحظات فتلك التى تضمّنا جميعا على الغداء فى العيد السعيد ، ويحين موعد احتساء الشاى لثلاثتهم ، وهو موعد استعادة الذكريات التى يُردّدونها كلما التقوا فى المناسبات وبتُ أعرف الكثير منها ، وعلى سبيل المثال عند زواج الرجل الطيب من « تريزة » ، حاول أن يقدم صديقيه للكاهن كشاهدين على عقد الزواج على اعتبار أنهما من أقربائه لينكشف السر أنهما ليسا من اتباع المسيح « عليه السلام » بعدما فشِلا فشَلا ذريعا فى قراءة (أبانا الذى فى السماوات) والتى تعتبر بمثابة الفاتحة .

أما أطباق المهلبية فمازال سكرها بفمى ، كنت لا أشعر بانقضاء الوقت إلا وصوت الرجل الطيب ينادينى (لملمى أشياءك سنغادر الآن) ، أما لحظة الغروب فهى لحظة مؤلمة ، سأغادر بنات أعمامى

اللاتى أحببتهن ومازلت أتواصل معهن حتى الآن ، وقد صارت كل منهن جدّة مثلى.

وقبل العودة إلى المنصورة لابد من زيارة الخواجه « عزيز » هكذا كانوا يطلقون عليه ، الخواجة «عزيز» هو عم الرجل الطيب الذى فضّل أن يعيش أعزب بعدما مات أخوه الأكبر تاركا ثلاثة أطفال أكبرهم الرجل الطيب الذى لم يتعدّ عمره السابعة حينذاك ، فقد نذر نفسه لرعايتهم وتدبير شئونهم ، أحببت جدّى كثيرا ، فحنانه وعطفه ليس لهما أى نظير ، فما إن يرانى حتى يفتح محفظته ليعطينى حقى من المضيوع تعبيرا عن حبه العميق طالبا منى أن أُسرع إلى البقّال المجاور لشراء (الحلاوة) .

ولايكاد يمر وقت طويل حتى يفتح محفظته مجددا لأعاود البقّال ربما اشتهت نفسى بعض العسلية والنُوجة واللبان ، ثم يعيد فتح محفظته قبل السفر ليضع بكيسى مبلغا من المال وقد طلب أن أقسّمه بالحق على إخوتى وأنا معهم ، جدّى «عزيز» أو الخواجه «عزيز » لم يكن يرضى أن نعود من زيارته إلا ومعنا زُوّادة كالتى يحضرها معه كل ليلة عيد عند زيارته لابنه البكر كما يطلق عليه دائما .

أما الزوّادة فتحتوى على الأرز ، الخبز الفلاحى الشهير والفطير

المشلتت ، والذى يأمر الخواجة « عزيز» بعض الجارات أن تخبزنه على جناح السرعة مع برام الأرز المعمّر ، ومعلوم أن هؤلاء النسوة كن لا يرفضن له أى طلب فكان الخواجه يغدق على أولادهن بكل الخير.

أما أكثر ماكان يفرحنى بعد الوصول إلى المنصورة فهو ركوب الحنطور من موقف السيارات حتى بيتنا ، أبيت ليلتى وأنا أتذكر حلو الذكريات فى (البلد) يحدونى الأمل أن غدا أيضا عيد ، وبعده عيد وعيد ، كل ذلك يعود الفضل فيه إلى توفيق أبى .

فما أروعه !

سوف أحيا يا أمى .. سوف أحيا ..

-وكيـف لـك أن تبـوحي بـالحزن والوجـع ؟ لاتبـوحى ... مـن عينيـك يطـل الشـجن ، وحشـة الصمت جعلتك تتآلفين مع القيد والضيم ، لكنك فى لهف لقلـب، لحضـن ، للضـحك واللعـب ، هكـذا يقول قلب الأم ، أدرى يامريم أنك تشـتاقين إلى كـفّ تحنان يحن للمسها فجرك ، لقنديل يضـئ دربـك ، فمن يضم فؤادك العصفور ؟

-اليوم أسرع الخطى نحو الدفء ، فالحب قبـل الخبز دائما ، وياويل من يكـون غريبـا بـين الأهـل ، الشوك وسادته ، المر شرابه ، الخـوف أحلامـه ، ولم يعد يجدى الشعر والنثـر وحفـلات السـمر ، جفـت باقات الزهر ، الـذكريات ليسـت إلا بعـض الصـور،



كم أشتهى الصدق وقلبا يرق، أتوق للنوم على جفن الصباح الغافى ، لشط وطوق فأمضى إلى البر، دعوة للنغم ، الأمل فى الصبح حين أنقش آيات الجمال .

-العطاء حياة فلا تبددي العطر ،لا تحجبى الشمس ، لاتضيعى العمر فى صومعة الآهات ، لاتسلكى الرمال ومحيط الزحام ، بل صافحى ملاكا كل يوم ، ارتمى على كتفه ثم طوّقيه بالحنان ، ردّدى معه أنشودة الحب :

لم لا أحيا وظل الورد يحيا فى الشفاه

ونسيم البلبل الشادى حياة لهواه

لم لاأحيا وفى قلبى وفى عينى الحياة

سوف أحيا ، سوف أحيا ، سوف أحيا

– نعم تغربت فى الأرض وسط الضباب ودوامة من رؤى موحشة ، وظلمة ليل طويل بطئ ، وبرد يجمد ظل الرؤى ، وأشباح رعب تثور بصدرى ، أضاعت ترانيمه الطائشة فماذا أتى بى إلى بلدة من جليد تسيّجه الغربة الموحشة ؟

سأرجع حتما لدارى وأهلى ، وروحى بأرض تعيش الكرامة ، لأنى تشوّقت للنور ، للزهر ، إشتقت أنداءه المنعشة ، إشتقت الفرحة المدهشة .. فقط على أرض الكنانة يتعانق جرس ومئذنة .

ماذا أفعل فى رحاب ليلة القدر؟!

هنأت نفسى حين دعانى صديقى الدكتور « أحمد عبد الرحمن » أستاذ الشريعة لليلة حب فى زمن الجدب ، فعند اللقاء تشرق كل الدروب ، كالصبح كابتسامة الينبوع، قطعة سكر زوادة الرحلة إلى «الأمسية » ، الليلة أحتفل وحرير غطاء رأسى يحتضن وجهى ، بين ذراعى نرجسة رماها على الدرب سفر ، شذى الحب يعبق داخلى ، أبنى زورقا ، ألملم كل الحنين ، فأربح بأخوتى ماتبقى من عمرى.

وكم هنأت نفسى قبلا مرتين .. يوما فى حب «سيد الكونين » وكان أحلى من لثم الزهر ، ويوما فى الأزهر وكان « الطيب » أجمل من رأيت على الأرض ، أما اليوم .. فمعزوفة الفرح « ليلة القدر » ... أقول



فيها عذب الكلم :

جنتنا نخيل وظباء ، نسماتها ترف بالطيب ، وهلالها يسعى للاكتمال ، ونحلات تسقينا حلوها ، الموسيقى حروفها ، يجذبنا رونقها ، هى واحة جمال وخيال ، بلابل وظلال ، فرح يوقظ طيور الفجر فنقبل على الحياة ، الأمل يحدونا فى غد نيّر .

يا شهد القلوب ، فى الكون ميناء نجاة

ليلة القدر .. تمحو الخوف ، بحنوٍ شفيف تعانق الأرواح ، ويالجمال الوجه البشوش تفوح بالعطر حين نمضى إليها لنرتو من ظمإ ، للسجود والدعاء ، للمغفرة والحب الكبير ، ياالله .. دعوة للأمل فى « ليلة القدر» حين ننقش آيات الجمال لنسقى الصحائف حبّك وحبّ الرسول الكريم ، وتلك أسراب الطيور تتألق فى الغمام بين عطر وابتسام ، فلنوزع الخير فى أنشودة اليمام ونحن نتوق للدفء ، لإبريق من عقيق يسكب حلو الرحيق ، نهفو للمسة فوق الرؤوس .

«محمد » (عليه الصلاة والسلام) اسم نقشناه بقبس من ضياء ، نقرأه قبل النوم حكاية (الطريق إلى الجنة) وعند إشراقة الفجر نروى عطش الوجد بدفقة حنان وعذوبة ، وتلك الآيات البديعة ، تعانق جمال السماء بحب فاض عن حنايا الصدور .

نتعلم من « أحمد » كيف يكون العطاء على الدوام ، لانسلك الرمال فتنفرط حبات العقد ، حتما سيضاء النور فيطرح الشعاع حنانا قزحي القطرات ، ينجينا من عصف الليالى ، من ظلمة ليل طويل ، وبرد يجمد ظل الرؤى ، نناديك يا « محمود » عن دربك نبحث ، من صبرك نتعلم ، نتلمس خطاك « يا سيد الآنام» نبقى رسمك فى الأحداق ، فيهلل القلب اشتياقا ، نرنو الى باب السماء فى ليلة هى خير من ألف شهر ، وقد شرّع يرتجى صدقا ونقاء سريرة ، فلنقتدى فى الليلة المباركة « بالمصطفى» يدعونا للقيم المثلى ، ولنجعل حبّه ملء الأفئدة يرى فى أفعالنا وأعمالنا .

اليوم للوطن ينساب الدعاء شلالا ، للعروبة جمعاء ، فلنراعى ميثاق الوفاء ، نُناديك ياالله احفظ الولد والعرض ، نجّنا من عذاب النار ، من كل شر ، امنحنا أن نُكمل حياتنا وقد غرسنا بكل ركن نبتة الخصب ، نُقاوم الضلال والكراهية ، ننتشى بالكلمات الطيبة ، فى رمضان ، طول العام ، فلنهنأ فى رحابك «يا طه» بالساعات الباقيات، يا الله اجعل من الدعاء أنشودة الغيث فلا نذوب من حر تنهيد، والأيام بلا مؤنس، ياالله .. زوّدنا بالصبر إن عاندتنا الأيام ، وألا نغيب عن درب به الأهل والصحب، نروم الشعر فى الطّود نقول:

سر الحنين فى الكوثر العذب ، من الإله كرم ، فلنبتهل بعناقيد من روائع الدرر ، فياليلة القدر .. حلو الرواء إبريق من زمزم .

المفكر الإسلامى

لم يعد الربيع بنسماته الرطبة ، وأريج زهوره ، وفراشاته الحالمة موجودا إلا فى الأشعار حينما نصف لقاء الأحبة بالعطر الندى ، الربيع حينما نعانق الأقمار ، كل لحظة رائعة فى الحياة هى الربيع ، أما صيفنا فبات حارقا يقترب كثيرا من طقس الخليج .

وفى حوارى مع إحدى الصديقات أشادت بإحدى القرى السياحية بمدينة الغردقة ، فجمال الطبيعة فوق الخيال، أما الهدوء وروعة المكان ، وتميز الخدمات ماأبحث بالفعل عنه ، خاصة أننى محاطة بالضوضاء على مدار العام ، وأسبوع واحد كاف لتأمل الزهور ورسم القلوب على الرمال ، أداعب النوارس والأمواج عند الغروب ، وعند



المساء أصطحب القمر رفيقا والنجمات وصيفات ، أتوقف تماما عن أنظمة الريجيم القاسية والتى غالبا ماتكون فاشلة فأنا أكره القيود ، سوف أترك نفسى أمام البوفيه المفتوح أختار مايروق لى خاصة (ورق العنب والمكرونة بالبشاميل ، وأنواع الكفتة المحببة أما برام « أم على » فهو الحلو) .

فبعد زواج ابنتى الصغرى أصبحت أجلس على السفرة بمفردى ، سوف أنطلق وأمرح على الشاطئ ، ويكفينى مداعبة البحر دون الغوص فى أعماقه ربما ابتلعنى ، وليس هناك من منقذ ، جميلة تلك المدينة ، مع السائحين كل الحق أن يأتوها من كل حدب وصوب ، ليلتى الأولى كانت استرخاء على موسيقى تم اختيارها بعناية فائقة من قبل القائمين على المكان ، وحتى لا أضيع الساعات البديعة للصباح المشرق بنور الله ، هرعت للشاطئ كي ألحق بمظلة لاتفصلنى عن البحر كثيرا ، أتأمل صفاء السماء ، أتذكر أشعارى وقد ضمّنتها البحار والأنهار والزهور، الطيور والنخيل ، والإنسان حين يسبّح بحمد الله ويشكره فى كل الأوقات ، كنت أدور ببصرى أطالع بعض المصطافين الذين حرموا فى بلادهم من نعمة الشمس فراحوا يأخذون أكبر قسط من خيوطها الذهبية وقد مددوا أجسادهم فى الرمال ، لكنى شعرت بالغيرة والكل يسبح ويستمتع فى بحر بلادى ،

وأنا مازلت لم أعانقه بعد ، فاتخذت قرارى بالسباحة التى لا أجيـدها على الإطلاق علما بأننى لم أسبح أبدا ضد التيـار ، ليفـاجئنى المـوج بدفء واحتواء جعلا من المـاء أرجوحـة تهدهـدنى ، فألقيـت بكـل الهموم فى أعماق البحار ، لكن هـاتف كـالبرق الخـاطف أمرنـى فى تلك الأثناء بالعودة إلى غرفتى على جناح السرعة ، رغـم أننـى جئـت بكل ماأحتاج إليه إلى أن يحين الغروب ، وماإن دلفت إلى (الشاليه) حتى توالت دقات الهاتف الذى ميّزته بمقطوعة من روائع العندليب، وجاء صوته فى صدى الجدول .

-كيف الحال.

-الحمد لله .

_ أخبرينى عنك .

لحظة صمت طويلة ، لا أدرى بماذا أجيب ، إن قلت إننى عدت من البحر فجأة لأنه مر على الخاطر وأننى سوف ألبـى نـداء الهـاتف الآن فلن يصدقنى أبدا ، وإن قلت إنـه قلـب الأم فالمتصـل بـالطبع ليس ابنى ، وحاولت أن أستجمع شجاعتى فورا.

- قلت (فرحانة جدا) ... أكاد لا أصدق .

- قلت لك أننى سأتصل .

بالفعل قال ذلك الليلة الفائتة ، لكننى لم أتوقع أنه لن يضيع الوقت ليكون هو البادئ بالاتصال فى صباح يوم اللقاء الأول ، وبرغم كلماته المقتضبة إلا أنها حملت فى طيّاتها عطفا ومودة سرت بالعقل وبالفؤاد ، فبُحت له بما اعترانى من هاجس ألحّ علىّ فجأة كى أترك البحر وأعود أدراجى لأمر هام ، مازلت لا أجد لذلك تفسيرا .

-قال : قلب المؤمن دليله.

-ليتنى ماسافرت ياأستاذنا الكبير ، كم أتوق للحوار مع «الهلباوى» منذ سنين ، جئت المنتدى ولم أكن أدرى أنك الضيف الكريم ، كانت الفرحة أكبر من قلبى وانا أراك لأول مرة وجها لوجه.

-القصيدة جميلة .

-ترددت كثيرا وأنا أطلب رقم هاتفك خشية الإحراج ، خاصة وقد التف حولك عدد غير قليل من المريدين ، وكم خشيت أن يكون للسكرتير دور فى تحديد المواعيد ، ولدى الكثير والكثير أود قوله ، لكن الحمد لله كنت كريما وهذا ليس بجديد.

-شكرا وإلى اللقاء.

كلمات خاطفة من مفكر كبير وعالم جليل ، علم من أعلام الدعوة، أول مايلفتك إليه قلبه الملاك ، تواضعه الجم ، فانعكس

جمال روحه على وجهه البشوش فازداد رونقا وبهاء ، تلك الشخصية التى أثارت إعجابى وإعجاب الجميع حينما اتخذ قراره الجرئ بالانحياز للوطن الأبى ، ولا شىء غير الوطن ، وطن للجميع دون أى تمييز ، العنف ليس من الدين ، هذا هو مبدؤه الذى فطر عليه ، وطن عاد إليه بعد نفى واغتراب ، اشتاق إلى ترابه ، وكل ركن فيه له ذكرى تثير شجونه ، مصر التى أبكته مازالت تبكيه كلما تذكر ظلم من يقبع الآن وقد بلغ من العمر أرذله ، ظلم مبارك (الديكتاتور) للأوفياء ، وهكذا قال التاريخ كلمته وأنصف الله المظلومين بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير التى كانت بداية لمرحلة جديدة من عمر مصر نحو العلا بإذن الله .

وأصبحتُ من فرط سعادتى أحكى عن لقائى معه للأصدقاء المقربين ، لأصدم فى رد فعل البعض الذين قالوا :

(لن يبقى كما تتمنين ، أتراهنين ؟ .. حالما اكتشف أنك من قوم عيسى سوف يتركك غير آسف عليك ، فلا مجال لكل هذا الفرح ، أنت واهمة والأيام بيننا يامريم).

هبطت الكلمات على مسامعى كئيبة ، سوداء ، مخيبة للرجاء ، لكن قلبى الذى يمتلك إحساسا رهيفا ولم يخذلنى أبدا ، كان يعلم أن هذا الرجل كنز قلما يجود بمثله الزمان ، فهو من خيار الناس وكما

جاء فى أحاديث الرسول الكريم «عليه الصلاة والسلام».

(أن أفضل الناس أحسنهم أخلاقاً) أو كما هو معروف فإن الدين المعاملة ، وأن سيماهم على وجوههم ، وتذكرت كلمة البابا «كيرلس السادس» بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى عهد الزعيم جمال عبد الناصر .

(كن مطمئنا جدا جدا ولا تفكر فى الأمر كثيرا بل دع الأمر لمن بيده الأمر) وتركت الأيام تمضى ليزداد مع الوقت تأكدى أن المفكر الإسلامى الكبير يسكن بين جوانحه حب لايضاهيه حب ، يسعى لنشر الخير دون تفرقة بين الجميع فبات الرجل بالنسبة لى كل الناس ، وأصبح هو أول من يهنئنا بالأعياد ، أحب أسرتى فصارت أسرته ، وصار مابيننا أكبر من الخبز والملح ، حينما ظل يداعب ويُحاور حفيدى بأعوامه العشرة وكأنه صديق عاد إليه بعد طول غياب .

فكم حفر بقلب الطفل عميق حب نقي مازال يتذكره كلما أتى من المنصورة لزيارتى فى العطلات ، سطّر معلم الأجيال بقلمه الرّصين مقدمة ديوانى الشعرى وعنوانه : (إتولدنا) يحوى قصائد من القلب عن وحدتنا الوطنية التى تزداد رسوخا مع الأيام ، وجلس على المنصّة ليكون أول المندّدين بالعمل الوحشى الذى قتل فيه

المصريون الواحد والعشرون على أرض ليبيا بين حضور مكثف مـن الوطنيين المخلصين ، لكن السؤال الذى أجّلته كثيرا هل كان يعرف وهو القيادى الكبير فى مجال الدعوة عندما هاتفنى للمرة الأولى أننى من قوم عيسى عليه السلام ؟

وجاء الجواب نعم يامريم .. وأنـت تلقـين القصـيدة منـذ أربعـة أعوام .

الفارس في الوجدان

عندما هبت رياح الغضب هتف الشباب إرحل ، شبابٌ كان يبحث فى الزحام عن عيش وحرية ، عن كرامة إنسانية ، حاول أن يفعل شيئا من أجل كسر حاجز الخوف ، والشعب يرتدى قناع الصمت ، هتفوا من أجل الوطن الذى يحيا فيه الملايين تحت خط الفقر ، يقطنون العشش والقبور ، تغيير منظومة الفساد من أولوياتهم ، فهبّوا بالملايين فى التحرير ، رافعين الأعلام فى كل الميادين .

شباب اعتقدنا أنه فقد الإنتماء ، جيل الأغانى الهابطة ، جيل الكرة ، لكن عزيمته وإيمانه بقضيته كانا السبب الرئيسى فى رحيل الديكتاتور عن حكم مصر بعد ثلاثين عام من الفساد لم يهتز ضميره أمام



دموع المقهورين وهم يقتاتون من بقايا الأطعمة على الأرصفة .

يناير ٢٠١١ رغم أنه قبس من ضياء ، إلا أن التحرير سيظل شاهدا على ميدان سقاه بالدماء شباب الطهر ، لقد شاهدنا كيف اندسّ المأجورون يعيثون الخراب فى كل الأرجاء ، ينتحلون صفة الثوار وهم ليسوا بثائرين ، بل لصوصاً كفئران الحدائق ، رأينا كرات اللهب تحرقُ كل نبت ربّانى ، رصاصات الغدر تنطلق فى صدور الأوفياء ، ولكى يتم تشوية ثورة الشرفاء بدأ مسلسل التحرش وانتهاك أعراض الفتيات فى الميدان يجرى على قدم وساق.

وكان يوما أسود ذاك اليوم الذى أغلقوا على «فاطمة» الدائرة ، أعداد غفيرة من عديمى الخلق والدين ، قاصدين النيل منها ، لكسر إرادة كل الوطنيين فى ميدان المجد والفخر ، وراح صراخ فاطمة يرتدّ فى الفضاء ، خارت قواها فسقطت أرضا بعدما تكالب عليها الشياطين ، وقد نزعوا عنها قميصها وحجابها ، لينشق عن الصفوف «رؤوف مرقص» الذى انتفض مذعورا يحاول بكل ماأُوتى من قوة أن يُلملم شتات « فاطمة » فناله من الضرب والرّكل مافاق احتماله ، لكنه قرر الذّود عن رفيقة الميدان ، يُفديها مهما كان الثمن ، رمى إليها بعلمٍ كانت قد داسته الأقدام ، كي تسترُ ماكشفه عنها الذئاب صارخا :

هل أنتم مصريون ؟ هل ترضون على أخواتكم ماتفعلوه الآن ؟ ياجماعة أين العيب أين الحرام ؟ أسئلة لم تجد من عديمى الرحمة أى جواب ، ورؤوف يتلقى اللّكمات ، نزف من الأنف والفم بغزارة ، حاول الذئاب أن يجرّوه بعيدا كى يتركها للأيادى القذرة تتلمّس عفّتها ، بينما فاطمة مازالت تتشبث بتلابيبه ، وبعدما فشلوا فى إثنائه عن إنقاذها من براثنهم ، عاجلوه بأربعة رصاصات أردته على الفور قتيلا ، وبين هرج ومرج استقلت فاطمة تاكسى كان يمر صدفة ، فقد سترتها بائعة الشاى (بملاية سرير) كانت تحتفظ بها فى خيمتها بالميدان ، وإلى مشرحة زينهم حملت الإسعاف جثة «رؤوف مرقص».

بعد عدة أيام شوهدت فاطمة فى الميدان وقد رفعت لافتة كتب عليها :

(رؤوف مرقص.. صوتك ياشهيد يحمل فى عطره شذى وطن أبى التاريخ أن يدفنه) .

الممرض رمضان حارس الحضّانات الأمين

وحانت لحظة المخاض .. يارب حافظ على الطفلة وأمها ، يارب من عندك ساعة سهلة ، قلبى يتألم وليس بيدى ما أفعله لابنتى فى هذا الوقت العصيب إلا الدعاء والكلمات الطيبة ، سويعات ياحبيبتى وتنسين كامل أوجاعك عندما تضمين إلى صدرك مريم (ست الحسن والجمال) .

فى مستشفى الشيخ زايد كنت أتابع من خلف الزجاج لحظة الميلاد ، وكنت أول من رأي « مريم » ومازالت متكورة وقد لفّت بالأخضر ، أشرت الى الممرض كى يطمئننى أنها بخير ، فأشار بكل الخير .

الحمد لله يارب على عَطيّتك ، ولتُكمل شفاء ابنتى من جُرح بطنها، فى صباح اليوم التالى عدنا إلى البيت،



وكلما طالعت وجه المولودة « مريم » تنتابنى غصّة شديدة فوجهها الشاحب والصُفرة التى تعلوه لم تكن بالأمر الطبيعى أبدا كما يحدث عادة فى الأيام الأولى للولادة ، ليقرر طبيب الأطفال بعد عدة تحاليل أن هناك خطورة على حياتها إن لم تلحق فورا بإحدى الحضّانات ، فى هذا القسم تمزّق قلبى على جميع الرُضّع الذين يعانون بشكل يبعثُ على الأسى ، وبدأنا فى تسليم « مريم » لقسم الحضانات .

وما إن وقعت عينى على المسئول عن الحضّانات حتى خذلتنى ركبتاى ، وشعرت أننى أهوى فى بئر عميقة ، غامت الدنيا فى عينى ، تلفّنى الصدمة ، وفقدت النطق للحظات ، الممرض المسئول لايبتسم ، قوله مقتضب ، لحيته السوداء(لا أبالغ إن قلت أننى ارتعدت من هيئته) ، ولولا أنه يرتدى الأبيض ويعمل بالمستشفى لتركت المكان وهربت من أمامه ، سجّلنا بيانات الطفلة وحاولت أن أتماسك عندما قلت له : أنا جدّة الطفلة ومستعدة أن أقبل يديك واطلب ماتريد لكنى أرجوك بحق الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (خلى بالك من مريم) أرجوك ياولدى .

دقائق مرت كالدهر لم ينطق بحرف ، ولم أحاول أن أنظر إلى ابنتى وزوجها ، كل مايشغلنى هو «مريم» فقط وكأنها تخصنى وحدى.

وسرعان ماطلب منا المغادرة فليس من المسموح الوجود على

الإطلاق ، ووجدتنى أتكئ على الجدار وضربات قلبى تشق الفضاء.

قلت له : أرجوك أعطنى رقم هاتفك كى تطمئن روحى ، ليسجل رقمه على قصاصة صغيرة ، أما رقم هاتفى فلديهم بالمستشفى كأحد الأقرباء من الدرجة الأولى ، وعدنا بدون مريم ، وكانت تلك اللحظة من أحلك لحظات العمر ، خاصة أن سرير مريم قد خلا من وردته ، ومن أغطيتها وملابسها حتى بعض الحليب الصناعى مازال بزجاجة الرضاعة يسأل عن صاحبته ، واختفت الضحكة والفرحة ولم يتبق لنا إلا الدمع والأنين .

بعد حوالى سبع ساعات دق الهاتف ليظهر أسم الممرض رمضان على هاتفى وكأن يدىّ قد شلّت ، فقد قفز إلى ذهنى أن مكروها أصاب مريم ، وجاء جوابه فلتأتى الآن كى تشاهدي بعض التحسن الذى طرأ علي الصغيرة ، لم أصدق وطرنا إلى المستشفى ، حملها رمضان بين ذراعيه بحنو لاتخطئه العين ، لتبدأ السكينة تدبّ فى صدرى من جديد ، وعلى استحياء حاولت أن أدس فى جيبه بعض المال (حلاوة الشفاء) إلا أنه رفض رفضا باتا .

خمسة أيام قضيناها على عتبات المستشفى ، لانرتجى إلا العودة بمريم ، خمسة أيام ورمضان الممرض على هيئته فلم أضبطه يبتسم خلسة ، فالجديّة والصرامة عنوانه ، لم يجلس لحظة ، فقط يدور بين

أسـرّة الأطفـال فى الحضـانات ، واسـتقرت حالـة مـريم وتماثلـت للشفاء، وقبل الرحيل دار الحوار بيننا:

-ابنـى رمضـان لـن تكفـى كلمـات الشـكر عـلى كـل ماقـدمت لحفيدتى.

-الشكر لله .

-لن أنساك ماحييت ، تركت معك نور عينى أمانة ، وللصدق كم خشيت أن تتبدد بفعل الإهمال .

-الكل هنا سواء.

-أنت متزوج يارمضان ؟.

-مازلت أبحث عن ابنة الحلال .

-قبل أن أترك المستشفى دعنى أصارحك ... كم خشيت منك كونك ملتحيا وبين يديك « مريم اندراوس» ، قضيت أياما حالكة السواد خوفى منك أن تقطع عنها التنفس ، أن تترك عينيها للضوء دون غطاء فتصاب بالعمى ، أو ترتفع درجة حرارة الحضانة فتصاب بالحروق ، سامحنى ياابنى الزمن لم يعد هو الزمن ، وكونك ملتحيا أصابنى بالهلع ، وحينئذ انفرجتْ لأول مرة أساريره ، لمحت وجها طيبا تعلوه ابتسامة قال : يقول الله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

-صدق الله العظيم يارمضان.

أربعة سنوات يعيّدنى وأعيّده ، تزوج وصار أبا لابنتين .. شيماء ومريم .

زينب والحب الأسطورى

عرس جميل وحفل فخيم دعونا إليه كل المحبين ، لحظة فرح تتوق إليها كل الأمهات المصابيح على الشرفات مضاءة ، الزغاريد منذ ليلة الحناء ، الأقارب منذ ساعات الصباح الأولى وقد أتوا محملين بالهدايا، أما فستان الزفاف فهو مفاجأة للجميع ، طرحة التل وتاج اللؤلؤ من اختيار العروس ، باقة الورود ترى من هى صاحبة النصيب التى سوف تلتقطها من يد ابنتى البكر ؟ خاتم الزواج وقد انتقل لليد اليسرى، الموسيقى والشموع مع أرق التمنيات بالرفاء والبنين ، كنت أتنقل بين الطاولات لتقديم الشكر لكل الضيوف ، ومن ثم أكون أيضا على مقربة من أهل العريس وإلا اتهمت بالتقصير .



كان جل همى أن تمضى الليلة على خير رغم الآلام المبرحة التى أخفيتها عن أقرب الناس إلىّ بما فيهم زوجى المسافر للعمل خارج البلاد ، وحانت لحظة الفراق التى أعرف أنها قادمة لا محالة حينما تأبطتْ ابنتى يد زوجها وقد لوّحا لنا استعدادا لبدء حياتهما الجديدة، وسرعان ماتجاوزت هذه اللحظات الثقيلة فعبء آخر مازال بانتظارى ، فلم أبح بسر المرض الذى ألمّ بى أثناء فترة تجهيز ابنتى استعدادا للإكليل حتى لا أفسد عليها وأختها الأصغر فرحتيهما ، يومان أنتظرتهما فقط لزوم (الصباحية) وسفر الزوج وبعض الأقرباء الذين أتوا من الصعيد ، وفى اليوم الثالث حدد طبيبى المعالج موعدا لإجراء الجراحة ، وحرت من يكون إلى جوارى أسبوعا فى المستشفى فقد اعتقدت أننى سأخرج فى اليوم التالى وأن الموضوع سهل كما فهمت من الطبيب الذى أخفى عنى الحقيقة حتى أنتهى من كافة المتعلقات الأسرية دون إبطاء ، فقط أبلغت ابنتى الصغرى أننى لن أغيب إلا يوما واحدا ومعها الخادمة ترعاها ولن تكون بمفردها ، وضاقت بى الأرض فأمى سيدة عجوز لن تتحمل خبرا سيئا عن ابنتها وفى غمرة التفكير أتت جارتى تدعونى لحفل عيد ميلاد آخر العنقود والذى يوافق موعد إجراء الجراحة ، وبهدوء قدمت اعتذارى لظروف خارجة عن إرادتى ولكنها صممت أن تعرف السبب الحقيقى للاعتذار ، لتنصرف دون أى تعليق ، لم

يكن هناك بد من مصارحة الطبيب بأنه ليس لدى مرافق يهتم بشئونى ، وقضاء أسبوع فى المستشفى ليس بالأمر الهين.

طمأننى الطبيب أن هناك ممرضة أمينة يمكنها أن ترافقنى حتى انتهاء فترة النقاهة ، لملمت أغراضى ببطء شديد ، ودار بى الكون خوفا على ابنتى إذا عرفتا فجأة أننى أخفيت عليهما حقيقة مرضى ، وعند الثامنة صباحا كنت أستعد لدخول غرفة العمليات التى أكرهها فالخوف الرهيب مايسرى بأوردتى ، برودة غير عادية ، خيوط وإبر ومشارط ، ورائحة المطهرات النفاذة تخترق روحى فتخنقها ، أغمضت عينى كى لا تقع على كل مايمزق وجدانى ، وقبل أن أستسلم لطبيب التخدير، قلت : أرجوك يادكتور كل شىء بيد الله لكن أحب ابنتى كثيرا ، ربت على يدى وبعدها غبت عن الوعى تماما، لأفتح عينى قليلا أناس حولى كثيرون لم أستطع أن أميزهم ، أصوات متداخلة ؟ كأنى بحلم أو كابوس رهيب ، لا أشعر بجسدى وكأن جبلا جثم فوق صدرى حاولت أن أستجمع بعض قواى لكنى فشلت ، وشيئا فشيئا سألت أين أنا ؟ وكان الجواب حمدا لله على السلامة خرجت من غرفة الإفاقة ، الآن سمعتها لكنى لا أتذكر قائلها .

ياالله أشكرك انتهت الجراحة ، كان الطبيب مازال بملابس

التعقيم الخضراء يمازحنى قائلا : ظللت واقفا منذ الصباح حتى الآن تعبت كثيرا وأنت تغطين بنوم عميق ولم تفعلي أى شئ ماذا أستحق منك ؟ كان لطيفا ودودا وأيضا أستاذا مرموقا فى مجال الجراحة العامة ، سألته هل أتت الممرضة كى ترافقنى ؟ فتعجب وقال : أختك معك منذ الثامنة ! ثم أردف : لم نكن ندرى أنها تُحبك إلى هذا الحد ، أبلغونى أنها ظلت واقفة حافية القدمين عشر ساعات كاملة أمام غرفة العمليات تقرأ القرآن الكريم ، لم تتذوق أى شئ حتى تطمئن عليك ، (ربنا يخيلكم لبعض) .

لم أستوعب كل ماقيل ، فمازلت لا أرى إلا خيالات مع إحساس بدوار رهيب ، لكن صوتا ما همس فى أذنى .

- (عاملة ايه دى الوقت ؟) .

- من أنت ؟

- زينب.

- زينب أنا فين ؟

- حمدا لله على سلامتك يامريم ، لماذا أخفيت علىّ مرضك ياحبيبتى ، علمت كل شىء من الطبيب ، إهدئى ستكونين بخير ، وأنا من سيرافقك طيلة الأسبوع لاتحملى أى هم ونحن موجودون ،

سنعود سويا إلى بيتنا إن شاء الرحمن الرحيم وقد منَّ الله عليك بالشفاء .

اكتشفت أننى لايمكننى التحرك مطلقا فالجرح كبير وعميق ، والمحاليل والدرنقة والأربطة كبلتنى فى السرير ، وطلبت من «زينب» أن تقوم بفتح هاتفى لترد فقط على أولادى ، مر أسبوع كانت فيه جارتى وهى زوجة لمسئول كبير فى الدولة من قامت برعايتى .. الأدوية فى المواعيد ، تسقينى العصائر مازحة أننى أتدلل كثيرا ، وكانت لا تغفل إلا قليلا لتجلس إلى جوارى تخفف عنى الألم الرهيب الذى لم تعد تجدى معه المسكنات ، واستطاعت بحنانها ورقتها أن تساعدنى كى أعبر تلك المحنة ، وعدنا إلى المنزل لتكمل معى مابدأته ، كانت مسئولة عنى فى أدق التفاصيل ، وبدأت أتماثل للشفاء ، وكلما حاولت أن أعتذر لها عن تقصيرها فى حق زوجها وأبنائها الثلاثة كان ردها :

-وماذا عنك ياصديقتى ؟

-النبى (عليه الصلاة والسلام) وصّى على سابع جار ونحن (الباب قصاد الباب).

-أين صور عيد الميلاد ؟

-أجلناه لتكتمل بك الفرحة.

-ماذا عساى أن أجيب يازينب .

-أنت أختى.

-وأنت وطن .

وتمر أعوام ثلاثة عانت فيهم زينب من آلام مبرحة بفقرات ظهرها ، حتى قرّر طبيبها المعالج أنه ليس هناك بدّ من التدخل الجراحى ، أخفت عنى زينب موعد إجرائها ، فقد كانت تعلم أننى مازلت أقيم بالمنصورة ومن الصعب أن أترك إبنتى التى مازالت تدرس بالجامعة بمفردها.

لكن الصدفة لعبت دورها وأنا أتصل هاتفيا للإطمئنان على زينب كعادتى اليومية حينما أخبرتنى إبنتها « نهلة» أن أمها ستجرى الجراحة الأحد المقبل ، وتحرص ألا يؤثر ذلك على التزاماتى العائلية ، وفور علمى شعرت بأننى أود أن أكون مكانها فلا تتألم زينب لحظة واحدة .

لست فقط مدينة لك بحياتى يازينب ، ولكنك توأم الروح ، أخشى عليك خوفك من رهبة غرفة العمليات ، أخشى عليك ملازمة الفراش لفترات طويلة وأنت طائر الحب الذى يتنقل فى كل مكان ليسعد كل من حوله ، شعرت بأن زينب إبنتى وليست

صديقتى، وقرّرت ألا أتركها أبدا رغم وجود زوجها وإخوتها وأولادها إلى جوارها ، حزّمت حقيبتى وسافرت إلى القاهرة ، وعند وصولى المستشفى كانت قد دخلت لتوّها غرفة العمليات ، وظللت أدعو الله أن يتم عليها نعمة الشفاء ، وأن يحفظها لى ولأسرتها من كل مكروه ، مرّت ساعتان ونصف حتى طمأننا الطبيب أن زينب بخير لكنها مازالت تحت تأثير المخدر الذى سرعان ماتبخر عندما بدأ صراخها يهز أرجاء المستشفى ، ووجدتنى أحتضنها والدموع تحرق خدّى .

- حمد لله على السلامة يا(وزّة) هكذا كنت أداعبها.

- لماذ جئت يامريم .

- ليتنى كنت مكانك فلا أراكى تتألمين .

- أرجوك عودى إلى المنصورة ، إبنتك وحدها.

- وأنت إبنتى.

إنسان جميل اسمه (مؤمن)

طرقات خفيفة على الباب ، لم أهتم لها فمن يدق عليّ الآن ؟ مازال قرص الشمس لم يفرد كامل خيوطه على المدينة المطلة على البحر الأحمر ؟ لم أستطع أن أكمل نومى بعدما تلاحقت الدقات ، قفزت من فراشى وقد تملكنى الخوف الشديد .

-من ؟

-آسف حضرتك ...آسف.

-من أنت ؟

-مؤمن .. أحضرت هدية متواضعة أرجو أن تقبليها منى.

-ربما أخطأت العنوان .



-لم أخطئ ياأمى ، وجئت مبكرا كى ألحق بالقطار لزيـارة الأهـل بقنا.

-انتظر قليلا .

ومددت يدى لعباءتى التى دائما ما تسـعفنى فى هـذه المواقـف ، واربت الباب لتمتد يدا مؤمن بسرعة .

-تفضلى هدية عيد الأم ، لم أشأ أن أسافر دون أن أودعك .

-لحظة واحدة ... دعنى أفتحها وأرى مابداخل هذا الكيس.

-تأخرت كثيرا ... إلى اللقاء.

أغلقت بابى وجلست فى حيرة من موقف مؤمن ، فتحـت هديتـه لأجـد شـموعا ، ومـرآة لحقيبـة يـدى ، فنجـانى قهـوة برسـومات فرعونية، بطاقة صغيرة وقد دون عليها (كل سنة وأنت طيبة) .

التوقيع .. ابنك مؤمن .

وبرغم سعادتى لأن هناك من يتذكرنى بزهرة أو بطاقـة ، إلا أننـى تألمت بشدة لأنه لم يعطنى الفرصة لأرد جزءا ممـا قـدم إلى ، وبـات صعبا العودة إلى النوم ، وظللت أتابعه تليفونيا لأطمئن عليه فى رحلته الطويلة .

أسبوع واحـد قضـيته بمدينـة الغردقـة بإحـدى القـرى السـياحة

والمشهود لها بالهدوء الشديد ، والسكون التام الذى يجلب هدوء الأعصاب ، فتسبح مع الأمواج والنجوم ومابينهما موسيقى ناعمة تبعث على الاسترخاء ، الإستيقاظ مبكرا كان يلقى رغبة فى نفوس النزلاء، فإشراقة الفجر والنسمة النّدية مع عطر الورود تخلق فى النفس حالة من السعادة ، فلماذا أحرم من نعم الإله ؟ وعند السابعة كان موعد الإفطار ، وتلك مناسبة لقراءة الصحف اليومية وعند التاسعة أعود إلى غرفتى وقد أعيد ترتيبها ، بعض الورود على الطاولة، أشكر عامل النظافة وأشعر بالخجل كونه شابا فى مقتبل العمر ، شاءت الأقدار أن يأتى من جنوب الصعيد ليعول أسرته ، كان عفيفا لا يقبل أى تحية ولو ضئيلة ، فإذا غضبت لردّه يدى امتدت يده لقطعة من البسكويت قائلا :

(حتى لا تزعلى)، كنت أحاوره أحيانا وكم أفضى إلىّ بسر حزنه الشديد من بعض النزلاء الذين يطالعونه كل يوم بنظرة دونية ، وصرت أنتظره عند التاسعة لنكمل حوار الأمس ، أما اليوم قبل الأخير من عمر الرحلة ، أخذتنى الدهشة من كم الورود التى صنعت صليبا بطول السرير وعرضه ، صليب أبهج قلبى بشدة فالألوان المحببة إلى نفسى تتعانق مع الأوراق الخضراء والشراشف البيضاء ، سعادة غمرتنى فذكرتنى بصباح العيد وورود أبى التى عوّدنا عليها ، فكان يعشقها ويزرع أنواعا من النباتات فى بلكونة بيتنا ، فى هذا اليوم

لم تقع عينى على مؤمن ، سألت زملاءه عن رقم هاتفه .

-أين أنت اليوم ؟

-أنهيت مهمتى مبكرا فالجو شديد الحرارة .

-مؤمن .. رسمت بالورد صليبا زينت مخدعى بأوراق خضراء ؟

-بالأمس تحدث عنك ، فقررت أن يكون ورد اليوم كما تحبين.

-ألف شكر .. أراك فى صباح الغد.

أبهرنى مافعله مؤمن فقد زين روحى بالفرح ، أعاد إلى قلبى صدق مشاعر لم أعرفها إلا مزّيفة ، قدّرت حسن صنيع هذا الشاب الذى لم تلوّثه الأفكار الرديئة كم أضاع من الوقت ليكون الصليب فى أبهى صورة ، من المؤكد أن الفكرة التى طرأت على رأسه وكان مازال بين أقرانه ، أراد أن ينفذها بعدما أغلقت بابى لأترجّل بين النخيل وشط البحر .

حزمت حقائبى فقد آن أوان السفر ، ومؤمن لم يشأ أن يأتى كما وعدنى مبكرا ، وعلى استحياء لمحته قادما بخطوات متثاقلة ، ربما لمح السيارة أمام الباب ولم يعد هناك من الوقت الكثير.

-مؤمن ليس لدى ما أقوله سوى كلمات الشكر لقلب عامر بالحب.

-طمنينى عليك وتصحبك السلامة.

حاولت أن أدس مبلغا من المال فكبّل يـدى ، وقبـل أن أعتـرض سقطت دمعة سرعان ماأخفاها.

خمس سنوات مضت ومازال « مؤمن » هو أول من يبـادر بتهنئتـى فى العيدين وعيد الأم ، « مؤمن » دون أن يدرى طمأن قلبى أن الخير بهذه الأرض لن ينضب أبدا .

أنطونيوس وفهيم

أربعون عاما هى عمر المحبة بين الجارين اللذين أصبحا مضرب الأمثال ، فمن الأمور العادية جدا ، أنه إذا عاد « أنطونيوس خليل » عند الظهيرة واشتم رائحة طعام شهى فى بيت عائلة الحاج « فهيم عبد النبى » فيذهب على الفور يدق الباب .

فيُقابل من الجميع بالترحاب الشديد ، أما أبناء «فهيم» فلا يبرحون بيت « أنطونيوس » خاصة بالأجازات ، وبات من المسلّمات ألا يظهر أحدهما دون الآخر ، توفّى« أنطونيوس » بعد مرض جعله طريح الفراش لعدة سنوات ، لم يؤنس وحدته بعد وفاة زوجته « كاميليا » إلا فهيم وعائلته ، وكان كل الخوف على الحاج «فهيم » أن يصاب بمكروه لشدة



تعلقه بصديق عمره وأغلى الناس على قلبه ، فليس من السهل عليه أن يتناول شاى العصارى دون رفيق دربه الذى لم يأتمن سـواه عـلى أدق أسراره ، لكنه حاول مع الأيام أن يتجاوز الصـدمة والأحـزان ، مـن خلال رعاية أسرة جاره والاهتمام بأولاده .

حتـى جـاء هـذا اليـوم المشـئوم حـين شـبت النيـران بمنـزل «أنطونيوس» بعد منتصف الليل، وتعالى الصراخ والدخان الذى شقّ عنان السماء ، ليهرع « فهيم » دون أدنى تفكير إلى شرفة غرفته ومنها إلى شرفة جاره غير عابئ بالأخطار ، ربما سقط من الدور الرابـع ، لم يعبأ بالنار التى اشتعلت بملابسه ، كل ماشغل بالـه فى تلـك اللحظـة هو إنقاذ الطفل « مايكل » بأعوامه الستة ، بحث عنـه فى كـل الغـرف فلم يجده ، شاءت الأقـدار أن ينجـو مـن الحريـق ، وبينمـا تواصـل سيارات الإطفاء مهامها ، أسرع الجيران طلبـا للإسـعاف محـاولين إنقاذ جارهم وعشرة عمرهـم ، لكنه كـان فى النـزع الأخيـر فقـد أتـى الحريق على كامـل جسـده ، وشـاءت إرادة الله أن تصـعد روحـه إلى بارئها ، بكاه الجميع واتضح أن « مايكل» هو حفيد «أنطونيوس».

الشهر الفضيل

المنصورة جميلة أحمل لها فى قلبى عشقا نادرا وحنينا كبيرا كلما عدت إليها خاصة فى رمضان ، فدقات طبول المسحراتى كان لها وقع مخيف خاصة مع ليالى الشتاء الباردة ، فقد كنت أعتقد أنه يدق ليوقظنى وحدى فى الظلام فأترك الدفء وأذهب للمدرسة حتى طمأنتنى أمى ذات مرة أن المسحراتى يُوقظ الصائمين فقط قبل صلاة الفجر لتناول طعام السحور ثم يعودون للنوم مجددا ، وتمر أيام الشهر الفضيل فإذا بالمسحراتى يدق فى الصباح الباكر فأهرع إلى الشرفة لأراه وجها لوجه ، بينما تناديه كل الجارات وقد حمل فى طياته كيسا يجمع فيه ماتجود به النسوة وهو محاط بالأطفال الذين علت وجوههم



الفرحة بالملابس الجديدة .

وعرفت أن هذا اليوم هو أول أيام عيد الفطر المبارك ، وبدأت أشارك أطفال الحى فى اللعب والفرح بأيام العيد الثلاثة ، ومازال صوت أمى عالقا بذهنى وهى تهمس لوالدى (فلتأت لنا بمتطلبات الكعك والبسكويت حتى لا ينظر الأولاد إلى صاجات الجيران) وكم كانت سعادتى وأنا أفتح الباب للجارات وكل واحدة منهن تحمل طبقها وتطلب من أمى أن تتذوق (عمايل إيديها) فترد أمى .. (عملنا صاجتين للعيال) ، ومرت بى السنوات ، تزوجت وأنجبت بنتين ، وعشت فترة ليست بالقصيرة بإحدى دول الخليج ، ومعلوم أن رمضان برونقه وبهائه وطقوسه المميزة لا يمكن أن تشعر بها إلا على أرض مصر ، وعدنا إلى المنصورة بعدما التحقت ابنتى بالجامعة، وأختها بالمدرسة الإعدادية .

وهلّت علينا بشائر رمضان ، ورأيت الناس فى الحى الذى أقطن به الكل يتسابق لتعليق الزينات ، والفوانيس الكبيرة لتضاء ليلا ، فى الوقت الذى تسمع فيه التهانى (كل سنة وانت طيب ، يعود عليك الأيام بخير) وصوت عبد المطلب ورائعته (رمضان جانا) كنت ومازلت مرتبطة بهذا الصوت الرخيم ولا اعترف بأى أغنية أخرى لرمضان غيرها .

يالروعة هذا المشهد البديع ، وأخذتنى الغيرة وقلت لنفسى (رمضان ملكى أنا أيضا) وعلىّ أن أسعد وأسعد بناتى ، فالمشاركة فى حد ذاتها فرح كبير ، كما أننى أحببت ان تعتاد الابنتان على العطاء والمحبة عمليا ، وألا نحرم أنفسنا من أية مناسبة أرى من وجهة نظرى أنها فرصة قد لا تعوض مستقبلا ، الفرح الحقيقى فى تبادل التهانى من القلب وليس نفاقا ، ثلاثون يوما من السرور بتلك الروحانيات وتأمل الناس فى كلام الله ، والعودة إليه لمن حاد عن الصراط المستقيم ، نستعيد أنفسنا إن شغلتنا الحياة عن واجباتنا نحو صلة الرحم ، التسامح والعفو وبدء صفحة جديدة من عمر المودة مع كل من أذانا أو أذيناه ، بقصد أو من غير قصد ، الإحساس بالفقراء والمعدمين ، كلما كان هذا التصور الطيب يدور برأسى أقول ، يارب إنها فرصة أغتنمها ، سوف أرفع الذراعين وأطلب منك المغفرة لى ولكل البشر ، فلتسامح عبادك المخلصين ، يارب استجب فأنت أرحم الراحمين ، ورحت أبتاع فانوسا بألوان زاهية تميل إلى الوردى ، تخيّر له الكهربائى مكانا مميزا لتزيد بهجتنا وسعادتنا ، وكلما لاح الغروب كنا نتسابق من سيضيئه ؟

وعاد المسحراتى يدق بطبلته التى كان صداها يهز أركان البيت كله ، خاصة أننا نسكن بالطابق الأول ، وبدأت أسرد لإبنتىّ حكايتى مع فانوس رمضان فأحبتاه وأصبحتا تضحكان كلما طار النوم من

أعينهما ، كنا نتجاذب أطراف الحديث حتى يكمل رحلته ، ويخفت صوته ، فنعاود النوم من جديد ، أما إفطار حارس العقار فكان نصيبى من الجدول الذى قرره مجلس إدارة البرج السكنى تقريبا ثلاث مرات طوال شهر رمضان ، وأنا أعلم أن لإفطار الصائم عند الله ثواب عظيم ، ومع كل مساء أكون على موعد لتقديم الكنافة والقطايف للابنتين كما عودتهما ، أما أكثر مايهز مشاعرى فهى موائد الرحمن التى يجتمع عليها الفقراء والأغنياء ممن هم على سفر ، الكل فيها سواء ، لحظة رائعة تلك التى أستمع فيها إلى الشيخ النقشبندى بالتواشيح الرائعة واللحن الشّجى ، أما المولد النبوى وعاشوراء فهى المواسم التى دأب عليها عمى « حسان » ومازال يرسل أحد أبنائه بعلبة الحلوى التى عشقتها من نعومة أظفارى على يديه ، وعندما أهاتفه لتقديم الشكر يكون جوابه (عادة ماتتقطعش ياابنتى) فأرد عليه (آمين) ياعمى ، الله لايحرمنى منك ، الله يبارك فيك .

وبما أن عمى من أهل الكرم فكانت حلوى الموسم تكفى عائلات وعائلات ناهيك عن بلح النخيل المزروع فى حديقة بيته وبيتنا القديم ، كان يعلم أيضا بعشقى للفطير المشلتت بالقشدة ، فيرسله ساخنا ، وأنا بدورى أقسّم كل هذا إلى عدة صحون لأقوم بتوزيعه على الجيران .

أنهت ابنتى دراستها الجامعية وباتت وردة آن لها أن تتفتح ، بعد عدة أشهر فاتحنى ابن عمى « أحمد حسان » وكان ضابطا بالقوات المسلحة أن هناك جنديا هو بالأصل طبيب صيدلى أُعجب به وارتأى أنه قد يكون مناسبا للزواج من إحدى بناته كما كان يحب دائما أن يقول ، فقد أنجب ولدين وكم تمنى أن ينجب بنتا .

أما المفاجأة فكانت حينما سأل الجندى وكان قائده بالقوات الجوية هل أنت مرتبط ؟ ليجيبه أن المشوار مازال طويلا أمامه ، صحيح أنهى خدمته العسكرية لكنه لم يعمل بعد ، فيقول له : لدىّ عروس مناسبة لك .. إبنة أختى ، صدم الجندى فكيف يتزوج إبنة أخته واسمه « جورج » ؟ وصمت عن أى حوار ، ثم أردف القائد اطمئن فالعروس بمثابة ابنتى ، وتمت الخطبة العائلية ثم شهد ابن عمى على عقد زواج ابنتى ، تماما كما شهد عمى « حسان » على عقد زواج صديقه الوحيد « توفيق » رحمة الله عليه ، عُلقت المصابيح على كامل العقار قبل موعد الزفاف بثلاثة أيام ، وبدأت توزيع بطاقات الدعوة للعرس السعيد وتنهال الاتصالات متسائلة قبل المباركة :

كيف يتم هذا الزواج فى الكنيسة يامريم ؟

وعندما ضحكت ولم أجب ، فُهم أننا من أقباط الوطن ، وعند السابعة وفى ذات الكنيسة التى شهدت زواجى ، دقت الأجراس

إيذانا بمراسم الإكليل وتُوّجت العروس بباقات الورود التى باتت فى كل ركن ، فقد حضر الجيران وجيران الجيران .

تزوجت إبنتى الثانية ، وبدّلت الوحدة طعم الأشياء، لكنى أحاول كلما جاء رمضان أن أستعيد حلو الذكريات مع الأحفاد .

حوار بين قلبين

مريم : ياموطن الشمس والأصداف ، طفت الكـون
أبحث عنك وراء النجوم ، ودبيب الحب
بـالفؤاد ، حلـم شـهىّ ، وليـت للأحـلام
أجنحة تمد ظلا على بيدائى.

محمود : سبقت العشاق فى مركب الفجر ، وأى فجر
يلـوح لى خلـف عينيـك فأنسـى وجـدى
وطول مسائى.

مريم :حفرت اسمك بـدمى ألم تبصـره عـلى الجسـر
والنهر ؟

ماعدت أحيـا بـدونك يـا أول مـن قـادنى
للحروف الجديدة ، كـم مـررت بـالكون
غريبة.



محمـود : تعلمـين أننـى لاأتكلـم كثيـرا ، لكننـى أعـدك أن أداوى ماأتلفه الدهر.

ياحبيبتى .. على ضفاف النيل راحت أغانينـا ، تـراود حنـين العاشـقين ، ظـلا والوانـا وصـورا ، هـديتى إليـك سـاعة بمعصمك ،هـاتف كلمـا طالعـت البـدر تشـتاقين لهفـى ، وطفلين ضجا فى حكايا ممتعة ، يصنعان حلمهما أرجوحة مـن أحضـان الشـجر ، حتـى إن سـافرت قمـم الجبـال ، سأدخل عينيك .

وقبل الرحيل ... تبادلا الأعلام ذكرى لأوطان لـن يغادرهـا الدفء ، تتوق للعدل ، وحديث مبلـل بالـدمع ، ثـم نامـت الكفّ بالكفّ.

محمود : لن يمتد ذهابى ، افرحـى ياكـل حـروف العشـق، سـوف أجتاز بك حدود الزمن ، أترقّب مجيئك عندما تردد النجوم أهازيج الفرح ، وأبدا لن نفترق ، هذا هو التاريخ يعـود بعـد صمت طويل ، يمـزق صـفوف المراوغـة ، يكتسـح أقبيـة الظلام فى الوطن المكبل بالقهر والزيف ، والناس بين أزقة الخوف عرفت تباعد الأحرف.

مريم : ياحبيبى .... العمر ضاع فى لقـاء وأسـفار ، اليـوم مـات

الظالم ، صحوة أعادت الأمجاد الى مصر ، أنتظرك لتعود الروح إلى الجسد ، أنتظرك كى تشرق أعلام النصر ، لا . لا تظل بعيدا . اقترب .

ثم راحت تصب الماء كى يتوضأ ، وآن وقت الرحيل وآه من وحشة الصفير ، أخرج محمود من جيبه إنجيلا .

ثم قال لها : صلى من أجل مصر يامريم .

مريم : مسافرة الى الوطن الحبيب ، الى مجلس الذكريات والليالى القمرية ، الشعر والأمس الجميل ، أحييك برسالة ود ، أغلق عليك القلب وأنا لم أعرف الانتظار من قبل ، علمتنى رجفة الضلوع عند اللقاء ، وكيف أعيش العمر بين جفنيك.

محمود : حبيبتى .. الحواجز الوهمية بيننا وضعناها أمام عيون تتلصص ، لكن الحب يطل من المآقى يفضح السر الدفين ، كأن العمر يرنو إلى العشرين .

مريم : لو وضعنا القلاع والمتاريس ، وارتفعت أمامنا كل الحصون فإنها لن تكبّل قلبينا ، مازال الشوق حلو الرحيق ، سوف أمضى إلى بيتى ، وإلى جوار حديقة الحب أعلق صليبا كنت قد أهديتنى ، فأنت تعلم كم للصليب لدىّ من معنى عميق .

محمود : علمتنى الأيام كيف أجمّل زمنى ، أحلّق فى الكون ، أهرب

بالحلم ، أطارد الخوف ، أصمد للعاصفة .

مريم : ياعاشق النور ليكن الرجاء قنديلا نتسلق به غصن الليل .

محمود : ماأجمل أن أتدثر بضفائرك .

مريم : ياقلب الطفل .. الليلة تعود العصافير.

محمود : عشت العمر أبحث عنك .

مريم : صدق المشاعر أمر نادر ، تبادلناه حين أمرت السماء أن يكون اللقاء على شاطئ النيل .

محمود : سأظل أتوق إلى المجيء .

مريم : ستسألنى شموعى عن الدفء ، عن اللحن رائع الشدو !

محمود : قولى لها : كل النجوم الشاردة تتجمع فى فضائك ، تختبئ خلف الأغصان فى مرآة الفجر طيورا تلتقط الحبّ والحب.

مريم : أعلم أن عمر الحب أيام .

محمود : بل كل الدّهر.

مريم : أخشى قطار الليل.

محمود : الحب فى الله يدوم للأبد .

حفيدى الغالى ..

بصوت حزين ...

-سأسعى جاهدا لنرحل عن وطن لم يعد حصنا لنا ، لن أضحى بكما ، ماذا يساوى العيش وهذه الأنواء ترسم فى ملامحنا الألم ؟

_نهاجر.

_ كفانا التغنى بأمجاد الماضى ، كلما ألّم بنا وجع أشقانا وألهانا عن نعمة الحياة ، كدت أكره الوطن ، فبعد آلاف السنين والعالم يبحث عن المستقبل فى المريخ .

مازال يطرح السؤال : هل يجوز تهنئتنا فى الأعياد وتعزيتنا فى الأحزان ؟



_ لنرحل فلا منارة أو جرس يقرع ، نستجدى غير مصر وطنا.

يطرق الحفيد رأسه ، لن أهاجر وأترك عمر !

تهنئة

جئت أُهنئك وفى القلب حريق ، لاتبـك ، «خالـد سعيد» فتح لـ«مينـا دانيـال » الطريـق ، بـين الـورود والملائكة يهنآن ، يُرتّلان حبا ونورا ، مسلم مسيحى فى السماء مع الأبرار ينعمان ، شهيدان أسقطا بالحق عار السنين ، صارا نبضا للأوطان ، فالطيور لن تكفّ عن الغناء سيظل التحرير قبرا لمـن يُهـادن ، سـأربح وإياك عمرا جديدا كلما أشـاروا إلينـا ، قـولى لهـم : مصريان فى ضمير الناس صنعا المجد العريق .



الحاج جرجس عبد المسيح

وبما أننى أقدر تماما كم الألم الرهيب الذى يشعر به مرضى الانزلاق الغضروفى وأعرف أنه بسبب التكنولوجيا الحديثة أصبح المصريون ضيوفا دائمين على عيادات أطباء العظام ، بعدما صرت ضمن الذين يعانون آلاما مبرحة لم تعد تُجدى معها أقوى المسكنات ـ وكان اليوم موعدى مع أحد الذين يشار إليهم بالبنان فى مجال جراحة العظام ، ومن الطبيعى أن تكتظ عيادته بالعشرات من الذين يتكئون على أزواجهم وأبنائهم وأيضا يتكئون على العكازات ، وبينما الكل ينتظر دوره ، هلّ على العيادة مسن وهنت عظامه يتحسس مقعده بعصاه ، جلس وحيدا بائسا تتهدج أنفاسه ، يتمتم .. يارب يارب ، فأثار عطف



وإشفاق كل المرضـى ومـرافقيهم ، وسـرعان مـا خرجـت إحـدى السيدات عن صمتها ، وقالت للعجوز : ألـف سـلامة عليـك يـاعم الحاج ، اللهم اشف مرضى المسلمين جميعا بحق جاه رسول الله.

فيرد المرضى : آمين يارب العالمين .

دقائق معدودات ونادت الممرضة على الكهل المريض.

الأستاذ جرجس عبد المسيح .. اتفضل

لتضجّ العيادة بالضحكات .

هاتوا المأذون

لم أكن أدرى سر الهمهمات والهمسات وأحيانا بعض كلمات الغزل التى لا تخطئها أذنى وذلك عند السادسة مساء ، موعد الذهاب إلى محطة الأوتوبيس وبين يدى قائمة طلبات أسرتى ، وبما أننى لا أجيد الأعمال المنزلية ، فقد كلفت بقضاء حوائج البيت ، كنت أشعر بالخوف دائما وأنا أرى تجمعات الشباب تحت أعمدة الإنارة فجميعهم من أبناء العاملين الذين منحتهم محطة الكهرباء شققا سكنية ؛ ومع تكرار المعاكسات اليومية أفضيت لأمى بما يعترينى من توتر ورعب كلما رأيت هؤلاء الشباب الذين لايكفون عن الضحك بصوت عال ، يتقاذفون الكلمات التى تجعلنى لا أقوى على المسير ، وبما أن



تعليمات أمى القادمة من أقاصى الصعيد ألّا أرد على كائن من كان فى الطريق ، ألّا ألتفت يمينا أو يسارا ، وأن أسير كالألف على حد تعبيرها ، لايسمح لى بعد الآن إلّا حضور اجتماع الشابات كل أربعاء بكنيسة « الملاك » بالمنصورة ، لكنها وعدتنى أن حلّ هذا الأمر سوف تتركه لوالدى كى يتصرف بطريقته ، ثم فوجئت بقسوة غير مبررة فكلما خرجت إلى الشرفة منعتنى ، لتقرر أيضا أن كل مايلزم البيت منذ الآن فصاعدا فهو ليس من اختصاصى ، وفى إحدى المرات واكب الإجتماع عرسا بالكنيسة ، وأخذنى الفضول أنا وصديقاتى كى نشاهد الإكليل ، وكأننا ضمن المعزومين ، ولاداعى لحضور اجتماع الشابات هذا الأسبوع ، راقت لى الفكرة ، ووجدتها فرصة لأتنفس بعض الحرية ، ولامانع من أعيش حلم اليقظة بالفستان الأبيض وطرحة التل إلى جوار عريسى فى كوشة تمتلئ عن آخرها بالورود من كل لون ، وبينما الكل يصغى للوصايا التى يلقّنها الكاهن للعروسين ، لمحت سيدة تطيل النظر بوجهى وكأنها تعرفنى، وانتهى العرس فإذا بهذه السيدة تمسك ذراعى وقد علت الفرحة وجهها وسألتنى :

- أنت مخطوبة ؟

- لأ.

- فرحتينى ياابنتى.

- لماذا ؟

- بصراحة أبحث عن عروس حلوة لماهر وأعجبت بك ، وقلبى لايكذب أبدا .

- ممكن أعرف عنوان البيت ؟

وأعطيتها الإسم والعنوان ، وأيضا جاوبتها على بعض الأسئلة ، كالعمر والتعليم ، إخوتى وعمل والدى ، عدت إلى البيت بمشاعر خوف ، أما الفرح فحرصت ألّا يظهر بملامحى ، أخبرت أمى بما دار بينى وبين هذه السيدة التى شعرت معها أنها طيبة وحنونة ، لم تعقّب أمى على كلامى وصمتت تماما ، مرّ يوم ، يومان ، ثلاثة أيام ثم مضى أسبوع على هذا الحوار وعند السابعة من مساء الجمعة ، دق الباب ليفتح والدى مرحبا بضيوف لم يخطئوا اسمه ، وكانت التقاليد فى هذا الحين ألّا نجلس مع الضيوف فى غرفة الصالون إلا بإذن ، لألمح فقط أمى وقد دلفت للترحاب وتقديم عصير الليمون البارد ، وظللت أنا واخوتى الأصغر نتلصص لنعرف من هؤلاء الزوار وماذا يدور بينهم ؟ مرت ساعة تخللها إعداد القهوة ، وفهمت من أمى أن من حضرت مع الشاب تلك السيدة التى قابلتنى فى الكنيسة ، أتت لتبدى إعجابها بى ، وتود أن أكون عروسا لإبنها

الوحيد ، الطبيب الذى يعمل بليبيا وأتى فى أجازة قصيرة وتتمنى أن تفرح به فلم يعد فى العمر إلا القليل على حد تعبيرها ، وللحقيقة لم أفهم لماذا لم يدعونى والدى لتقديم القهوة كما تفعل كل البنات حين يتقدم إليهن العرسان ، لحظة كم تمنيتها بينى وبين نفسى ، ليفاجئنى والدى أن « ماهر عدلى محروس ».

يطلب فى حالة الموافقة أن (نكتب الكتاب) قبل إنتهاء أجازته والعودة إلى ليبيا ، وبعدما اكتشفوا أننا نتزوج بمراسم (الإكليل) ، لم يندهشوا أو يمتعضوا ، بل ضحكوا وقالوا : ليس لدينا مايمنع أبدا ، إن وافقتم فلنقرأ الفاتحة .

بعد ثلاثين عاما ، وبينما كنت أنجز معاملة مالية بالبنك الأهلى ، لفت انتباهى من يحملق بى ويقف إلى جوارى فى طابور الرجال قلت إن هذا الشكل ليس غريبا علىّ ، ثوان حتى أعاد التركيز فى عينىّ وبسمة من عينيه ، وماإن أدرت وجهى سريعا حتى بادرنى قائلا :

صدفة رائعة كيف حالك يامريم ؟ حاولت أن ألملم شتات تفكيرى ، لكن سرعان ماأسعفنى الله لأعود بالذاكرة للوراء كثيرا .

دكتور« ماهر » يالها من صدفة عجيبة ، تكلمنا فى نفس اللحظة ثم ضحكنا ، فعلينا الإنتهاء من معاملات البنك أولا ، بعد ذلك نتحاور على مهل ، وبالفعل انتظرت قليلا حتى أتى إلىّ حيث أنتظر ، وكان

سلاما دافئا ، تزوج وأنجب ولدين ، وأنا لدى بنتان.

أخبرنى بأنه عاد من ليبيا واستقر بالمنصورة ، توفيت والدته السيدة الطيبة التى أحبتنى من أول لحظة ، وعاش فى بيت العائلة ، ثم أمسك بيدى ليعرفنى على زوجته الدكتورة «محاسن » وعلى بعد خطوات رأيت سيدة جميلة الشكل والهندام ، وقد علت الدهشة وجهها فكيف« لماهر» أن يسير مع أخرى وماسر تلك الفرحة ؟! وبصوت جهورى.

قال لها : يامحاسن .. سلّمى على مريم ، مريم التى كنت سأتزوجها ، لكن محاسن لم تنبس ببنت شفة ، وسرعان ماعادت للجلوس على ذات المقعد وهى زائغة النظر ، أما أنا فلم أتمالك نفسى من الضحك ، ثم أردف ماهر (إطمّنى يامحاسن طِلعت مسيحية ، من ثلاثين سنة رحنا نخطبها لكن ...) .

لحظات صمت إنفرجت بعدها أسارير الدكتورة محاسن ثم قالت : (إحنا فيها لسّه) .

ثم صارت محاسن من أعز الصديقات .

ثلاث هدايا من أختى (منال) ...

وجهها الذى لاتفارقة البسمة ، ضحكتها التى تُشرح الصدور أول مالفتنى إلى تلك السيدة التى سكنت إلى جوارى بالمنتزة ، ونحن نقضى أجازتنا الصيفية ، كانت تُلقى إلىّ بالتحية بينما أنا منهمكة بقراءة الصحف اليومية فى حديقة الشاليه ، وأحيانا تحاول أن تتجاذب الحوار عن روعة الطبيعة خاصة مع ساعات الصباح الأولى ، تعشق البحر مثلى لكنها لاتجيد السباحة ، تحدثنا عن أمور الحياة اليومية التى تشغلنا كأمهات ، إنها فرصة جيدة للتعارف بعدما شعر أولادها وأولادى أنهم يرغبون فى اللعب سويا .

أسعدنى الحظ أن التقى بالدكتورة «منال» التى جاءت من مدينة « دمياط » لتستمتع بالهدوء فى



«المنتزة » بعيدا عن زحام مصيف «رأس البـر» والـذى لا يبعـد عـن دمياط كثيرا ، إتفقنا أن نقضى فتـرات الصـباح عـلى الشـاطئ مـابين الشمس الرائعة والهواء المنعش بينما نخطط أيضا لفسحة المسـاء ، والصغار أمامنا يمرحون ، من الرمال يصنعون بيوتا ومراكبا سـرعان ماتتقاذفها الأمواج ليعيدون بنائها من جديد ، مرت الأجازة كـالحلم الجميل ، وحان موعد عودتهم إلى دمياط ، أما مشـهد الـوداع فكـان صعبا علينا صغارا وكبارا ، لكنها وعدت أولادهـا ألا تحـرمهم مـن لقاء أولادى ، فالمنصورة ودمياط لايبعدان كثيرا ، إفتقـدت «منـال» كثيـرا فى تلـك الأيـام لكننـا كنـا عـلى تواصـل دائـم ، إحـدى هـذه الإتصالات جاء فيها صوتها حزينا جدا ، لقد رحلـت أعـز الحبايـب والتـى تقـيم معهـا منـذ سـفر زوجهـا الـدكتور «عبـد الله » للعمـل بالتدريس فى جامعة الرياض ، وكان بديهيا أن أقدم واجب العـزاء إلى من شاركتنى أحلى الأيام ، ووجـدت أن خيـر تعزيـة هـو تقـديم آيـة كريمة من الذكر الحكيم ، تُدخل على قلبها السكينة .

قلت لها : ياصديقتى لم أكـن أتمنـى أن تكـون أولى زيـاراتى كـى أعزيك فى مصاب جلل لكنها إرادة الله (عز وجل) وعلينـا أن نتقبّـل كل شىء بالرضـى والشـكر فقالـت : و(نعـم بـالله) ، و(قـدّر الله وماشاء فعل) .

بعد عدة أشهر أدّت منال مناسك الحج ، هنأتها ، فكم كانت تتوق لزيارة الكعبة التى ارتأت أنها فرصة أيضا لكى تبرأ روحها من الأحزان لفقدان الأم ، وعادت الحياة إلى طبيعتها تدريجيا .

وقبل أن ينتهى العام أصدرتُ ديوانا بعنوان (أزهار الخريف) وقررتُ أن أوجه الدعوة للدكتورة «منال» ليس لكونها صديقة رائعة، ولكنها أيضا أستاذة اللغة العربية بكلية آداب دمياط ، ومن المؤكد أن رأيها فى العمل الجديد سوف يؤخذ بعين الإعتبار ، رحّبت كثيرا ووعدتنى أن تأتى بالأولاد ليلتقوا جميعا بعد طول غياب ، وكان بديهيا أن أدعوها لطعام الغذاء سويا ثم الذهاب إلى الندوة عند السابعة ، قبل أن يدق جرس الباب سبقنى الأولاد كى يستقبلوا الأحباء ، دلفت منال إلى الصالون وكلى سعادة بهذه الزيارة ، وبينما أمطرها بكلمات الترحيب والشكر لله بسلامة الوصول ، لمحت عينيها تدوران على الحوائط والأركان ، والدهشة تكسو وجهها ، تنبهت سريعا أن المفاجأة التى عقدت لسان منال هى صور السيد المسيح عليه السلام ، صور القديسة الطاهرة مريم والملاك ميخائيل.

أما الصليب الذى أهدانى إياه «محمود» وهو أحد الأصدقاء الطيبين بعد رحلتة إلى إيطاليا ، كان من بينها الفاتيكان ، فقد عُلق فى

غرفة المعيشة التى نقضى بها معظم الوقت ، فإيمانى أن الصليب يمنحنى وعائلتى البركات ، وسرعان ماتحولت نظرة الدهشة إلى نظرة حب مصحوبة بالإعجاب.

قالت : يامريم ليس لدى ماأقوله ، تلك هديتى إليك.

قلت : مابيننا أكبر من الكلام وأكبر من الهدايا يامنال ، الأولاد بالغرف يمرحون دون سؤال عن الصليب والهلال ، والآن تفضلى لتتذوقى ماطهوته خصيصا للغالية وأولادها .

قالت : إفتحى الهدية أولا وبعدها نستمتع بالوليمة يامريم .

لتقع عينى على ثلاث هدايا (سجادة صلاة ، مسبحة ، قنينة من ماء زمزم).

يانور عينى ..

ياشهيد الوطن الأبى ، محمد ومينا ، بطرس وصلاح الدين ، مع الأبرار والملائكة الأطهار، اليوم تهلل السماء ياشهيد ، تروم طلتك ، تعال للنور ، للجنة ، لنبع فرح يدوم للأبد ، فارتوى من شهد الحب ، كنت للفداء بطلا فى قلب الخطر، لاعليك ياولدى من أعمى الفؤاد والبصر ، فمازال يطبق بكفيه على السهام ، فى وضع الاستعداد وقد غشّاه الظلام ، يضغط على الزناد ، فيسرع المهللون بتحيته، تطوقه الشياطين لتشد من أزره ، تدفعه للانتشاء بدمه، ولتُدوّى الزغاريد فى كل الأنحاء ، والآن حان وقت تقاسم الثمر الشهى ، الليلة عيد ، قتلنا الجميع ، من دقّ على الكف الصليب ، ومن نطق الشهادتين



ليموت الكافرون ، من أعالى الكهوف يبيت الهؤلاء ، فى أقاصى الدّجى يستبيحون النبت والطير ، لا يألفون الجمال وحُسن الطباع ، بجنون ، بشهوة الذئاب الجوعى يقتنصون اللحظة للانقضاض على الفرائس ، لا يألفون الحياة إلا بالخداع ، باللظى وعتوّ الجبال ، ثم ينامون قريرى العين ، يحلمون بسيل جديد من الأشلاء والدماء ، يتخايلون عجبا بوهم النصر ، يمعنون فى الشر ، الغل فى العروق يستجير ، يلاحقون الكروان على الأفنان ، عاشقون للقبح والدمامة ، الضمير مات منذ قرون، يحيون فقط للآثام عاما بعد عام ، يعقدون مع الشياطين كل يوم صفقة للخراب ، لدمع الرضع والصغار الأمهات والأحباب.

فإلى رب الكون .. إلى من من أحبنى وفيه اكتمالى ، أنا على يقين بأنك لن تنسانى ، فالروح عندك والزهور غدت طليقة الأغصان ، دعوتُك راجية أن تحتوينى حتى ألفظ حقدى على الجانى ، الحقد الذى يشقينى فيذوب قلبى من آنّات وجدى ...ياربى... كأن ثُقلا يعصرنى كلما تراءى لعينى الذئب يُعربد بالسيف فى شغف لنحر ابنى، أحيا وأفنى دون اتزان ، أضيق بصمتى وجفا البوح لسانى ، جريحة أتلوّى طريحة بالمكان ، ولدى الراحل عنى هل يرانى ؟ بيوم الأم تذكرت صباه ، وجهه الغض الصبوح ، ويده تمتد بزهر ندى يعانقنى ، ثم يدعونى كى أغمض عينى ليضع بفمى سكر النبات ،

ياإلهى ولدى بين أحضانك يغفو ، أنت الأحنّ عليه منى لكن السّقم أحيانا يتسلل الى روحى ، أحتاج اليك ياإلهى تنتشلنى من عواصف الحرمان تسرى ، مُد يديك تحتضنى فما كنت يوما غافلا عنى ، فى الفرح أو فى الضّيم لا تدعنى .

ياإلهى .. أشتاق إلى إبنى ، فمنذ عام كان هنا يخبئ هديته ثم يفاجئنى عندما يطبع قُبلته على خدى ، اليوم (عيد الأم) وأرى «مصطفى» قادما بالورد يتبعُنى ، فى كل ركن يضمنى ، كم أتوق للمسة حانية « ياجرجس » وقد هفا قلبى لحبيبى ، أدنو الخطو منه صرت أناديه فيرجع لى صدى صوتى.

ياإلهى .. ولدى الشهيد عطّر الكون حولى وبات لايفارقنى ، أعيتنى قوافل الهواجس ، حُلمى الدامى يطاردنى ، فى صدرى بركان الغضب حبيسا كالمارد يزأر ، ياإلهى .. أَنصِتْ إلى صرختى ، داوى عميق جراحى ، ياإلهى متى يبصر أعمى القلب والعين ؟!

وياولدى .. سيكتب اسمك فى التاريخ بالذهب ، بأجمل لحن ، سوف نتغنى بك جيلا بعد جيل ، اليوم عرس فى السماء بين الحور والقديسين .

الأم تريزا

إسم جهير فى عالم النبل والسمو الروحى ، الشخصية الإنسانية الرفيعة سيذكرها التاريخ بسطور من نور ، « الراهبة الهندية » التى وهبت حياتها للأطفال كل الأطفال ، للفقراء والمسنين وجميع المهملين ، كم داوت جروح المصابين فى كل أنحاء العالم ، فاستحقت الاحترام والتقدير .

قالت : تأمل الطبيعة لتعرف مدى قدرة الله فى الإبداع ، وأن أصحاب الضمائر لامكان فى قلوبهم للمكر والنفاق ، التدين الحقيقى هو اكتساب روحانية جديدة تضئ الأعماق ، نحن جوعى إلى المعنى المقدس ، قناديل الإيمان ، نكبح جماح الشر عندما يلفّنا الظلام ، قال السيد المسيح (له المجد) :



ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟

« الأم تريزا » استحقت نوبل للسلام ، جمـال المـرأة فى روحهـا ، حنانها فى الاحتواء ، أنوثتها فى الصدق والبسـاطة ، وابتسـامة تكفـى البشرية ، الجمال جمال العقل ، والحب حب الإنسان لأخيه الإنسان.

مجدي يعقوب الأسطورة

بعـض النـاس يجمّلـون ليالينـا ، يمنحوننـا الـدفء والعشب الطيب ، واحة جمال وخيـال ، بلابـل وظـلال ، هم شهد القلوب ، « مجـدى يعقـوب » فى الكـون مينـاء نجاة ، يحمل بين جوانحـه قلبـا يزعجـه النـزف ، بحنـو شفيف يمحو الخوف ، كأجنحة الحمام المهـاجر يعـانق القلـوب اليائسـة ، عاشـق حلـيم وكوكـب الشـرق ، كالورود يفوح عطـرا ومحبـة ، إشـراقة رسـمتها ملامـح وجهه البشوش ، يمضى بخطى الواثق لأن عزما فى حنايا نفسه لم يصب يوما بالوهن ، لا يشكو التعب حـين يشـمر عن ساعديه ليداوى الجرح ، يفيض نقاء وعذوبة ، حـب مصر المتغلغل فى أعماقه زاد يقينه أن القادم نـور وبهـاء ، عاشق للعلم .



لا يهتم لتلك القلوب التى غشّاها الظلام وماجت بالأحقاد ، وحين تطل علينا بوجهها الكئيب ، تزرع بالفرح السكين ، أقلامهم زور وبهتان ، فالدكتور جراح القلب الشهير « مجدى يعقوب» قلما يجود بمثله الزمان ، الطبيب الأسطورة كلماته البديعة تجتذب العقول والأفئدة حين يتحدث عن الصرح العملاق بأسوان ، جل ما يشغله علاج المرضى دون تمييز ، هو نبت أصيل من هذه الأرض العظيمة ، لن ننسى حين لملم ابن النيل حقائبه ، مشارط ، أربطة وضمادات ، دواء ، وبسمة تربت على قلوب الصغار ، ضحكة تزيل ركام الهموم عن عيون الأمهات ، دون ضجيج يداوى جراح الوطن والمعذبين ، (مجدى يعقوب) يرتفع دائما كالشهب التى لاتغيب .

تهنئة خاصة جدا

عصفورة تاهت عن السرب ، جابت السماء بحثاعن حضن الوليف ، ترنّحت من الإعياء والخوف ، على الحجر العتيق تئن من برد ونزف ، والسُحب لاترفّق ، على خاصرة الرصيف كان قطار الليل يمضى بسرعة البرق ، لاأحد يرق للبلابل أو زهر الياسمين ، فى مساء اليوم التالى لمحته مُمتطيا جوادا أصيلا ، لملمت جناحيها ، فتشت بين الصخور لترقد على مقربة من كثبان رمل ، ربما التقطت حبات قمح سقطت سهوا من طائر ليل ، زرفت عيناها دما فصرخت أين الوطن والنشيد ؟ لتمتد راحتاه فى اليوم الذى أنهى فيه العام نصفه الأول بشعاع قنديل ، فضمّد جرحا تسلّل إلى الجسد المنهك .



أدفأ الفارس صقيعها قائلا : ياحنيني للربيع وصباح العيد ، لاعليك من الغربة والريح ، لاتلعنى الزمان وصخب المسار ، لن أترك دمعك الغالى حبيسا داخل فؤاد عصفور مستكين ، دعك من الركب الغريب ، لنمضى الى الحقول الصبح آت يجمع على الود قلوبنا ، غردى حبا وطيبة ياكنانة ، ارفعى الجبين يامحروسة ، وهكذا لوّح الفارس النبيل القادم من نيل الوفاء بالأمانى الحبيبة ، فتماهت درّة الشرق بين كفّيه وصارت وإياه لمواسم العشق قصيدة .

وبينما تقام صلاة القداس الإلهى لعيد الميلاد المجيد ، فوجئ المصريون جميعا بالرئيس « السيسى » بين جموع المسيحيين بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية لتقديم التهنئة إنها حقا لحظات لاتنسى ، ورسالة قوية للخارج والداخل ، فنحن بالفعل وطن واحد، علم واحد ، مصر الساكنة بأعماق رئيس مسلم مؤمن بأن (الدين لله والوطن للجميع) .

منصورة يامنصورة ..

فى حضن نهر الخصوبة بمسقط رأسى أرى الصور نيلا ونخيلا ، جنة تراود النوارس وكل الطيور ، تغريد بلابل ، وأنامل تنفض عن قلبى غبار الحزن ، تجذب الروح اليها شجرة عزيزة مدت غصونا وظلالا فتحلق حولى الأنجم ، الغروب والمساء الماطر ، البحر والنورس الفضى ، الشاى والكتاب وبيدى قرنفلة بلون الحب أردد لك الدعاء بكل الفرح ، المجد والفخر ، « إبن لقمان » رمز الشموخ أسر الملوك بوقفة المغوار ، « صخرة الملتقى» كم صنعت عذب القوافى ، فتبهجين القلوب العطشى للجمال ، رجالك من سلالة جند نجم الدين ، نخوة وشهامة ، شعراء وعلماء ، منصورة على كل باغ



لعين ، جرس الكنيسة حين يـدقّ ، يـرد الأذان بـالودّ ، بالإيمـان فيـا نوّارة البسـتان ودوحـة الصفصـاف إن أقفـرت الـدّنيا ، زادنـا فيـك الأمانى يامعجزة السماء ، ورحت أصغى وأصغى .. يـاإلهى أهكـذا يكون عزف الكمان ؟

وحين نتابع الأنواء وتمر الساعات فى شجن لم يكن فى الحسـبان ، يامنصورة أنت ملء الخواطر بكفيك ظل الوفاء وإليك :

يامنصورتى تتحقق الأحلام ، بالحب يرعاه خالق الآنام ، طـوبى لشعبك حين يجمع شمله ، فى ليلة تزهو بها الأيام ، فى شهر رمضـان الذى ازدانت به أرجاء مصر بين السـجود والقيـام ، ترعـى الأخـوّة للمسيح وشعبه ، وتجلّ أحبارا لديه كرام ، الشـعب يسـعى بالمحبـة والهدى ، والشيخ والقسيس الذى لا يُضام ، شـعب حبـاه الله حـب عقائد جاء بها الرسل الكرام وقاموا ، ولتوحيد موسى كنا أول أمة قد صدّقته فآمن الناس وتساموا ، أما المسيح كنا شـعب دعاتـه، لم يثننـا عن نشرها الإرغام ، ولدعوة الإسلام كنا صفوة ترعاه علمـا يحتويـه غرام ، قد باركته خطى المسيح وكلمة ، أوصى بها المختار .

وطنى وصِبايا وأحلامى : (م ـ ص ـ ر)

ثلاثة حروف اسمها ، رفيقة الموانئ البعيدة والشموس ، يامن نقشتك على كفّ الليالى قبسا من نور ، فصرت المعنى والجذور ، فى الأحداق كل الرؤى والآتى الجميل ، كما الغيث والشوق والعطر والبدر والدفء والعيد والأمنية ، تركيبة سحرية منسوجة من خيوط الأحلام حينما يلفّنى الظلام ، دنيا السحاب فى البحور والقوافى لاغدر فيها ولا ذئاب ، الضوء والظلال ، أسأل عنك الحروف والورود واليمام ، أبحث عن الوداد ، أسأل عن سر الحب ، لمن أبوح بالسر والحب صار ألف سيف ؟ لمن أمد الكفّ بعدما زاد إحساسى باللّظى من هول ماجرى للزورق ؟ كبّلتنا الأفاعى تضرب الكنانة



بسيف الجحود ، من وأد الأمانى فصار الدجل والزيف عنوان وجوه تبدلت فى الزمن الذليل ؟ كل مافى الكون أمطار ورعد ، فمازال وجهك المرسوم فى الوجدان نسرا فى العلا ، محملا بالندى حين يداوى تاريخك العريق كل وجع ، حين تنشطر خيوط الفجر نتأمل فيك الهرم كى أتحدى الصعب، أسائل عنك الليالى ؟ أجزلتِ العطاء فتآلفنا معك ، أسقيتنا الشهد فأحببنا الصعب ، ورحنا نخاطب النجم حين ضجّ الهوى فى الجوانح ، نرجوه ألا يذيع من الأسرار كل دفين عن طائر البهاء ، يافجر الحياة وموطن الحسن ، بتنا نرقب العالم من شرفتك ، نروم طلتك ، فلم نعد نشكو الضيق ، لانستغرق فى الفكر والسأم ، حين نترّجل بشوارعك ، حاراتك ، كل شبر فيك ننتشى بالدرر ، نمرح ، نعود لأطياف الذكريات فمسراك ياوطنى أنسام وأنداء ، ياوطنى .. إن أجدب العمر ، إن تهت عن الدرب أهرع اليكَ ، بسمة أنت فى الأحزان تؤنسنى ، أرنو إليك فى فرحى وإخفاقى ، يازورق يسرى بروحى وأعماقى ، أهفو إليك فى صمتى وإطراقى فإليك :

مصر العظيمة أهلها العظماء، مهما تحالف ضدها الأعداء ، وإذا كسا داء الفساد ربوعها ، يأتى من الشعب الأبى شفاء ، هم علّموا الدنيا الحضارة واهتدت بضيائهم وبعلمهم أرجاء ، فاستخبروا التاريخ كيف عطاؤهم ، فالصخر عن أمجادهم حكّاء.

فالعلم والفكر النبيل تجمّعا والـدين والتشـييد والحكمـاء ، بهـم استقرت للحضارة قصة يزهو بها التـاريخ فهـى ضـياء ، وبأرضـهم حلّ الخليل ويوسف ، وأتت لموسى الحكمة العصماء ، هم صدقوا بدين الكليم وآمنوا ، رغم الطغاة فهم له شهداء ، وخُطا المسيح عليه باركت اسمه ، وسعت على جنباته العـذراء ، سـالت لنصـرته الـدماء ذكية وتسابقت فى حبه الأحناء ، وأتت من العـرب الكـرام جماعـة ، أبناء هاجر أختنا المعطاء ، تدعو إلى الإسلام وهو شريعة ، قد أنزلتها للوجود سماء، فتسابق الشعب العريق مرحّبا ، وحمى العروبـة كيـف شاء وشاءوا .

لحن الملائكة

لست إلا بقايا حطام ، بقايا بشـر ، يـامن تـدثرت بعباءة الملائكة، تزيّنت بتاج المرمـر، لتنبئنـا بأسـعد خبر، لاحقـت الجنـاة ، مـن فجـرّوا الأبنـاء ومزقـوا الوتر، وأن هلاكهم فى القاع والحفر ، قرأنا فى عينيـك الصدق ، شكرنا الـرب ، سـتجعل مـن القتلـة درسـا وعبرا ، يالـه مـن جنـون !! مصـريون يقتلـون وهـم يودعون العام الجديد، قبل أن يبدأ ، صدقنا أن غصّـة بين ضلوعك ، تؤرق مضجعك.

فى ذات الشهر ولدت ثـورة غضـب ، يـامن كنـت تجهل أن عين الله لاتنام ، ستكشف أسرار السجون ، ومـاخلف الأشـياء ، وأنـت تتلـذذ بالـدمع والألم ، تتراقص بالأحشاء ، أتعبنا الصمت، هدّنا البكاء عـلى



أبرياء تضرعوا وخشعوا أمام الإله أن يحقق الأمانى والفرح ، يامن جعلتنا نحيا بلا شمس ، فى ذات الشهر العظيم ، عزفت الملائكة لحنا أنقى وأطهر ، أما أنت فلن ينفض عنك غبار الحزن ، سيلفّك العار باقى الأيام ، يامن أجدت الخداع ، وأتقنت أبجدية الكلام ، سيحيطك الجليد، ومنك لا أحد يقترب ، ستتجمد قدماك وعيناك إلّا من صور الشهداء ، ويداك المخضبة بالدماء تصرخ ، تود لو ترجم نفسك بحجر ، لن تجد من يرتب خطواتك ، من يجمع دمك المبعثر وبقايا أجزائك ، تذكر أيها القاتل كل الجماجم ، فى الميادين، وكنيسة القديسين مازالت تشهد على ليلة غاب عنها نجم وقمر .

هل كنت حبيبا أم كنت أنت العدو ؟!

الكذبة والمراءون الذين قال عنهم السيد المسيح (له المجد) : ماذا يضيرهم إذا مات الفقراء جوعا أو مرضا حرقا أو غرقا ؟ يلهثون بحثا عن الفتات فى صناديق لصوص مصر، فواقعنا كله مر ، تناسوا أن عين الله لاتنام ، وأن الأمانة سوف ترد ، يوم يقفون عراة من الشرف والكرامة ، باتوا حديث الناس.

هذا أوان الحساب لمن قال إن وأد الفتن الطائفية من أولوياته، وبتنا نصدّقه جملة وتفصيلا ، ويدا الذئب ليستا بريئتين كنصل يتلظى بدم القتيل تؤجج السعير ، وجه الصّبية البتول (مريم فكرى) التى كانت تحلم بالفجر، كسرب حمام يمتد كرايات حب وسلام ، لتنتفض فزعا والدم يجرى بحورا، يغرق الدرج يوم



الميلاد ، يامن أغلقت الأبواب أمام الدروب التى جفت سـواقيها، لم تسلم منك طيور النهار، لتحتل الغربان فجر دارنا الى أن أفقنا، لنجـد أنك بعت فى ساعة وطنا بأكمله ، فسقطت الجدية والصرامة.

وجهك أفعى بثت سمها فى عيون الصغار، وعلت الصـدمة وجـه الكبار ، فمن أطلق يد الوحوش بلا قيود ، ليتكرر مشهد فى العالم لـن يُمحى من الذاكرة ، هذا هـو المصـرى الغوغـائى، ينهـب ويحـرق ويسرق آثاره ، من أطلق الرصاص الحى على صدور كـل الأوفيـاء ؟ من أضاع أمننـا حتـى ضـاقت بنـا الأرض بمـا رحبـت ، وماعـادت تحمينا السماء ، فيامن خـدعنا ونحـن خلـف سـجن القهـر، وأمـام طوابير الذل والمهانة ، تبخرت آمالنا ، سياط الزمن مزقـت أوصـالنا حزنا ، على ماآلت اليه أحوالنا .

أيها الخائن سوف تمضـى أيامنـا، نـروى حماقاتـك مـن تضـليل وغدر ، بعدما تردّ انتفاضة الزهور خنجرا لصـدر عـدو لم يكـن أبـدا حبيبا ولا عادلا يقـول الله «عـز وجـل» فى سـورة البقـرة (ولكـم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) .

منزل رقم (٥)

لاأدرى لماذا يشكو معظم أبناء جيلى من مرحلة الطفولة ، وخاصة قسوة الأب أثناء التعامل مع صغاره ، أو تعنت الأم ، يشكون الظروف المحبطة للآمال وفشل الطموحات حتى تبدلت حياتهم ، فكلما أعادوا للذاكرة عمر البراءة ، يكسو الحزن ملامحهم ، ويتمنون لو يقفزوا على هذه المحطة وكأنها لم تكن ، أما أنا فأشد ماقد يعيدنى الى الطفولة هى تلك السعادة والفرحة الغامرة والتى تلاشت فى الكبر، وكلما شعرت بالوحدة والغربة أعود بالزمن عشرات السنين فأستشعر دفء البيت وحنان المدرسين ولطف الجيران وبساطة الحياة ، الأمان فى الشارع ، واللقمة الهنية والرضا والحمد والشكر ،



المحبة بين الناس وكلمات أشكر الله أن صداها لا يزال يتردد بسمعى ، لتخفف من وطأة مايجرى.

(حصل خير ، صلّوا على النبى ، ليس لى بركة إلا انت ، حقك على رأسى ، نحن إخوة ، النبى وصّى على سابع جار ، لا تغضب ياأخى أطفال مع بعض الآن يتصافوا ، إحنا ولاد النهارده ، صافيه لبن ، حليب ياقشدة) .

الله الله ماأجمل تلك الأيام عندما كان يمشى الكبير يقف الصغار احتراما ، وإذا تدخل الكبير فالكل يلتزم توقيرا ، النفوس البيضاء ، القلوب السمحاء عنوان أجمل الايام ، وكان أجمل يوم كما يقول موسيقار الأجيال « عبد الوهاب » بلحنه الشجى ، هذا اليوم الذى ذهبت فيه الى الشهر العقارى بالمنصورة كى أسجل توكيلا ، فإذا بى أمام سيدة مدّت يدها لالتقاط الأوراق وحينذاك دارت بى الأرض وتساءلت حلم هذا أم علم ؟ حاولت أن أستجمع أنفاسى وسألتها :

سيادتك مدام نعيمة ؟ كان الأمر عاديا بالنسبة لموظفة بالشهر العقارى أن يعرف العملاء أسماء الموظفين ، لكننى حينما أردفت (مش حضرتك أخت شادية) ؟ انتفضت من فورها وارتعدت ، ثم لاحقتنى بالأسئلة من أنت ومن أين تعرفين شادية ؟ حاولت أن أهدىء من روعها ، قلت : مدام نعيمة أنا مريم .. كنت مع شادية

بنفس (التختة) فى مدرسة الرشاد عند الأبلة أسماء هل نسيتى ؟ لكنها وكما بدا لى لم تقتنع أبدا ، بدليل أنها لم تجب ، لتنكبّ على كومة الأوراق التى تكدست أمامها ، وتركتنى لدورى دون أن تنطق بكلمة، وشعرت بالإحباط فشادية بالنسبة لى خيط حرير يوصلنى للماضى البديع يعيدنى للسبورة والطباشير ، للمريلة الصفراء والضفيرة والشرائط البيضاء ، كانت نعيمة متحفظة الى الحد الذى جعل وجهها عابسا طيلة الوقت فآثرت أن أتوقف عن الكلام ،لكنى لم أيأس أبدا ، فى صباح اليوم التالى كان موعد استلام التوكيل العام والأمل يحدونى أن تتكرم نعيمة وتجود بعنوان شادية التى علمت من الأبلة اسماء فى إحدى زياراتى لها ، أن شادية عاشت بمكة بعد الزواج من رجل فاضل ، ومارإن انتهينا من المرحلة الابتدائية حتى تفرقنا ، ولم أعد أرها ولو على سبيل الصدفة ، لكنها دوما بالذاكرة ، كانت تتفوق علىّ بالحساب ، وانا أتفوق عليها باللغة العربية التى عشقتها منذ نعومة أظفارى والفضل كل الفضل يرجع للأبلة أسماء ، فحصة التعبير كانت أروع الأوقات خاصة عندما تطلب منى الأبلة أسماء أن أقرأ على زملائى ماكتبته فى موضوع التعبير ودار الحوار :

- صباح الخير مدام نعيمة.

- نعم خير إن نشاء الله.

- ارجوكى أن تتكرمي عليّ بهاتف شادية لأننى أود التحدث اليها، ولا تقلقى ودعينى أذكرك أيضا ، ألم تكوني معنا بذات المدرسة لكنك تكبرين عنا بعام واحد ؟ ذاكرتى مازالت قوية وملامحك لم تتبدل أبدا .

- شادية لا تحمل هاتفا .

- ماذا عن الرقم الأرضى .

- لا أتذكره.

- من المؤكد لها عنوان .

- لا استطيع الا باستئذان صاحبة الشأن.

- وماالفائدة أود زيارتها لتكون مفاجأة .

وأمام محاولاتى المستميتة لإقناعها وافقت.

- شادية تسكن خلف مجمع المحاكم مباشرة منزل رقم ٥ .

وما إن عرفت العنوان حتى وجدتنى وقد طلت السماء فطِرت على المكان ، «منزل رقم ٥» ، بيت من ثلاثة أدوار يبدو جميلا ، وقبل أن أقترب من الباب الرئيسى إذا برجل خمسينى يطل من إحدى شرفاته ، سألته على الفور : هذا بيت شادية ؟ ليرد بابتسامة قائلا تفضلى ، وبعد أقل

من دقيقة وجدتنى أمام ثلاثة شبان يستقبلوننى بحفاوة بالغة .

طالعت الشباب ولم أصدق عينى ، شادية أم الضفيرتين أصبحت أما لهؤلاء ؟ العمر مرّ كالثوانى ، فى غرفة الصالون اتخذت مكانى بمواجهة الباب ، تسارعت دقات قلبى ترى كيف سيكون اللقاء بعد فراق يقترب من الخمسين عاما ؟ ترى ماذا سيكون رد فعلك ياشادية ؟ ثوانى لتدخل على عجل والريبة تغطى كامل جسدها ، وفى لمح البصر وصوت تخنقه العبرات :

مريم مريم .. أكاد لا أصدق ، مستحيل ... ياربى .. وزوجها وأولادها يطالعوننا فى ذهول ، كان عناقا حارا ، ودموعا ساخنة تصرخ ضياع الصدق ، والحب بلا رياء ، زمن فات نعيش على أنقاضه ، نجتر حلوه نستعين به فى الزمن الكئيب ، قالت لزوجها : ياصلاح .. مريم التى حدثتك عنها كثيرا عندما أتذكر أبلة أسماء ، وجهها لم تتبدل ملامحه ، لحظات كما الأفلام ، استعدنا كل شىء من الذاكرة كان قد مرّ علينا، تشتاق إلى الماضى مثلى ، جلسنا طويلا تسأل كل واحدة عن أحوال الأخرى ، وحين استأذنت للانصراف أصرّت أن أتناول معهم العشاء ، قال الحاج صلاح :

(علشان يبقى عيش وملح) ، لترد شادية (العيش والملح كان فى العسيلة ودوم أم عبده ، كان فى النوجة والتوفى ، فى الغدّيوة عندما

نضع السندويشات فى الفسحة تحت النخلة ونأكل مع بعض) .

وأكلنا ولم نعد نفترق ، تزاورنا وتعرف الأزواج على بعضهما البعض ، ولحسن الحظ توافق الأزواج فى الفكر والحوار ، وتعارف الأبناء والبنات ، حضرت عقد قران هشام فقد تزوج هيثم وهادى ، ووقفت الى جوارها وأنا أشعر بأن العريس هو إبنى ، حينما أوصيت العروس أن تبقى على حب هيثم طول العمر من أجل « شادية محمد حافظ » التى ماإن أدت رسالتها حتى خطف الموت الحاج «صلاح » بعد عودته من صلاة الفجر ، وشادية تعد لهما فنجانى الشاى ، بكيناه جميعا ، كم كان ودودا ، كريما ، وكثيرا ماروت له شادية عن طفولتنا السعيدة برعاية الأبلة أسماء عبد الفتاح ، فأحبنى من أجلها، وأدهشه أننى بحثت عنها وكيف كان جمال رد فعلها ، تقابلنا بعدما صرنا جدتين ، وكلما تهاتفنا نعيد شريط الذكريات من أوله ، وعندما أهنئها بالعيدين ورأس السنة الهجرية أقول لها: مازلنا فى أول السطر، وأصبحنا نعوّض سنوات الحب النقى بأثر رجعى ، واقترحنا أن نستغل أجازة أعياد أكتوبر المجيدة فالكثافة المرورية فى الأجازات لن تعوق خطواتنا ونحن نعرّج على ماتبقى من المدرسة ، وإن كان سورا متهالكا ونخلة وحيدة لاتملأ الفراغ ؟ يكفينا أن نستنشق عبير أبلة اسماء ؟ وأبلة سنية وأبلة إخلاص؟ تأبطت ذراعى وما إن وصلنا حتى سالت الدمعات .

هذه مصر

من قلعة التاريخ والحضارة ، من بلد أنطقت الحجارة ، من بلد الثورة والثوار والفنون والعلوم والعمارة ، من بلد على ضفاف نيلها تم اختراع الناى والقيثارة ، وكان أول الحروف حرفها وأجمل الزهور زهرها ، وأعرق التيجان تاجها ، وأعذب الأنهار والثمار والنضارة .

ورغم كل ماعاشته فى تاريخها الطويل من حوادث النضال والإثارة ، ورغم ماعانته من نهب وطغيان على مدار عمرها العريق ، يظل قلبها الفتى يدفع الدماء فى العروق ، تظل تعطى خيرها وفكرها وعلمها للخصم والصديق ، تظل حتى فى عصور الجهل والظلام فى تاريخها منارة على الطريق ، تعيش



فى وجدانها أصالة الفراعنة وحكمة الإغريق والبطالمة ، وروعة الإيمان بالرسل ، فأول الموحدين شعبها ، ودينها القديم يقرر الثواب والعقاب ،والحساب والخلود ، وجاءها موسى مبشرا بدعوة التوحيد ، فألقى السحرة ساجدين مؤمنين سابقين ، وبارك المسيح أرضها بخطوه المجيد ، وخصّها القرآن بالذكر ونعمة الصمود وصية من أحمد بأهلها وحصنها الفريد.

وأشرقت بأرضها فصاحة البيان والقصيد« شوقى » شدا إعجازه الشعرىّ فى ربوعها ، « محفوظ » صاغ سحره من سحرها ، «طه وعباس» أذاعا فكرها ونبغ الآلاف من أبنائها فى الطب فى الفيزياء فى الفنون فى العلوم ، فى صناعة الوجود ، فى صياغة التاريخ ، فى الصدق والأخلاق فى صيانة العهود .

ياأصدقائى تلك لمحة من مصرنا العظيمة مصر التى لاتقبل الخنوع والهزيمة ، مصر التى صانت عروبتها ولم تخضع لغاصب ، مصر التى ضحت وأعطت للعروبة دعمها فى كل جانب ، مصر التى سالت دماء شبابها من أجل أحلام العرب ، أهديها حبا تؤصله الحضارة ، مصر التى حمت محبتنا بقلب من ذهب .

ربنا موجود

بقلم الكاتب الصحفى الأستاذ « حمدى رزق »

تلقيت رسالة من الكاتبة «مريم توفيق»، عضو اتحاد الكتاب، معلقة بكلمات طيبات على ما جاد به القلم حبا لأخوتنا في الوطن، وتقديراً لكنيستنا الوطنية، واعتباراً لمكانة بابا المصريين في نفوس المسلمين.

أعرف مريم كمصرية صميمة فقط من رسائلها الودودة، وأنتظر بشغف كتابها الجديد تحت الطبع «عشقٌ مختلفُ جدا » ورسالتها الطيبة تستحق هذه المساحة تقديراً.

تقول مريم: «وبما أنني من أقباط مصر، فاسمح لي أن أبوح ببعض الأشياء التي عايشتها بالفعل ومازلت كلما التقيت بالأصدقاء.



لم يكن« البابا شنودة» للأقباط بطريرك الكرازة المرقسية فحسب، بل كان الملاذ الآمن لكل من واجهته مشكلة ولو كانت على المستوى الخاص.

لعدة عقود اعتاد الأقباط على (السير جنب الحيط) والاحتماء بأسوار الكاتدرائية إذا تعرضوا لظلم أو اضطهاد، يرتأون الحل في كلمات التعزية من« البابا شنودة» الذي يدعوهم للصلاة والشكوى لله الذي بيده رفع المظالم، وكانت له كلمته الشهيرة (ربنا موجود).

البابا شنودة كان مفوّهاً قادراً على الإقناع، خفيف الظل، لكن لا أحد ينكر أن الرهبة منه في ذات الوقت مكمنها عيناه اللتان ترسلان بريقاً يخترق الروح، هذا البريق جعل الأقباط ينظرون إليه باعتباره قديساً معاصراً يسير بيننا.

وجاءت الثورات التي بدلت أحوال الأقباط ، فتمردوا على الأسوار الشاهقة، وراحوا يثورون في التحرير ليس من أجل العيش فقط، بل من أجل الحرية، والتمرد على مشاعر الإحباط التي جعلتهم خانعين مقهورين غير قادرين حتى على البوح إلا فيما بينهم.

لكن مع الأسف، والأقباط جزء من المجتمع، الكل فهم الثورات خطأ، فباتوا يتكلمون دون توقير، دون سقف بل دون مراعاة لعواقب الأمور، التمرد على كل شيء هو نوع من إثبات الذات، وربما

لتعويض أزمنة الكبت والخرس.

ومع الأسف« البابا توا ضروس» دائماً ما يضعه الأقباط في مقارنة مع« البابا شنودة» رغم أنه لا يقل وطنية عنه، فأنا أثمّن له التواصل مع القيادة السياسية بما فيه مصلحة الوطن على كل الأصعدة، يحث الأقباط على المشاركة الفاعلة من أجل دور أكبر لشركاء الوطن.

«البابا »يعلم أنه لولا« ثورة الثلاثين من يونيو» لانهارت الكاتدرائية وباتت أنقاضاً، ولن يصبح أمام الأقباط إلا أحد هذه الخيارات: إما الهجرة ، أو دفع الجزية أو القتل.

«البابا توا ضروس» حين يطلب الوقوف إلى جوار الرئيس الوطني المخلص بحسن استقباله دولياً ودعمه في هذه المرحلة الحرجة ، إنما هو دعم لمصر الكنانة وشعبها الأبي، فرفقاً بقداسة البابا ولننحِّ المقارنة الظالمة جانباً، الكل يؤدى دوره إرضاء الله رب الكل أولاً، ثم الوطن، حفظ الله أمتنا من كل مكروه .

جريدة المصرى اليوم

السبت ١٧/٩/٢٠١٦م

الشاعرة فى سطور

- مريم توفيق.
- عضو اتحاد الكتاب.
- عضو جمعية الأدباء.
- عضو نادى القصة.
- عضو المنتدى الثقافى المصرى.
- عضو جمعية الكاتبات.
- عضو اتيليه القاهرة.
- عضو رابطة التربية الحديثة.

صدر لها :

- عزف على أوتار العشق — شعر فصحى
- أزهار الخريف — شعر فصحى

- قوس قزح	حوارت صحفية
- حلم بالخضرة	شعر عامية
- الثورة والزمن المسروق	نصوص أدبية
- مصر الى أين	نصوص أدبية
- وبكت الأشجار	مجموعة قصصية
- إتولدنا	شعر عامية
- قنديل وقربان	نصوص أدبية
- طريق السماء	نصوص أدبية
- بين الكلمات	نصوص أدبية

الفهرس

الإهداء ٣
هذا الكتاب ٥
مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور: منصور مندور........................... ٧
تأملات ١١
إلى أم النور .. سيدتنا مريم العذراء (عليها السلام) ١٥
السيدة زينب (رضوان الله عليها) .. وروحانيات متجدّدة ١٨
إلى العالم الجليل .. صاحب المقام الرفيع.. إلى الطبيب الإنسان ٢٠
الحمصية وطعم الأيام اللذيذة.. ٢٢
دعوة للحب والإيمان فى حلوان ٢٦
لقاء طيب جدًا جدًا ٢٩
البابا المعظم الأنبا تواضروس الثانى.. بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة
المرقسية ٣٥
جلسة إنسانية جمعتنا فى حب الرسول ٣٨
عندما بكى (البحر الأحمر) ٤٦
قنديلٌ يشع سلاما ٥٢
الأبلة أسماء ٥٧
أبى توفيق (ما أروعك) ٦٤
سوف أحيا ياأمى .. سوف أحيا ٧٠
ماذا أفعل فى رحاب ليلة القدر؟! ٧٢
المفكر الإسلامى ٧٥
الفارس في الوجدان ٨٢
الممرض رمضان حارس الحضّانات الأمين................................ ٨٥

زينب والحب الأسطورى ٩٠
إنسان جميل اسمه (مؤمن) ٩٧
أنطونيوس وفهيم ١٠٢
الشهر الفضيل ١٠٤
حوار بين قلبين ١١٠
حفيدى الغالى ١١٤
تهنئة ١١٦
الحاج جرجس عبد المسيح ١١٧
هاتوا المأذون ١١٩
ثلاث هدايا من أختى (منال) ١٢٤
يانور عينى ١٢٨
الأم تريزا ١٣١
مجدي يعقوب الأسطورة ١٣٣
تهنئة خاصة جدا ١٣٥
منصورة يامنصورة ١٣٧
وطنى وصِبايا وأحلامى : (م ــ ص ــ ر) ١٣٩
لحن الملائكة ١٤٢
هل كنت حبيبا أم كنت أنت العدو ؟! ١٤٤
منزل رقم (٥) ١٤٦
هذه مصر ١٥٢
ربنا موجود : بقلم الكاتب الصحفى الأستاذ «حمدى رزق» ١٥٤
الشاعرة فى سطور ١٥٧